رسالة نور الله

في توحيد رب العالمين

الشيخ محمد صديق

www.alukah.net

رسالة نور الله

في

توحيد رب العالمين

الشيخ محمد صديق

مكتبة الفتح للنشر والتوزيع الناشر الدولي

رسالة نور الله
في توحيد رب العالمين
والمحبة والإخاء بين المسلمين

الطبعة الثالثة

١٤٣٢هـ – ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، اللهم لك الحمد ملء السماء وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد.

اللهم صل على محمد وآله خير من اتقى الله وخير من عبد.

أما بعد:

فإن نور الله إذا أشرق في قلب المؤمن فإنه يحرق كل ما سواه، فلا يعظم سواه، ولا يذعن بالعبودية إلا له، خوفًا ورجاءً وإنابة وتوكلًا، وتقربًا بالطاعات وخشية وتذللًا. فيصير موحدًا لله.

وكذلك إذا سطع هذا النور في القلب فإنه يبدد ظلمات الجهل فيصير مستنيرًا بشرع الله مهتديًا به لا بسواه.

وإذا امتلأ القلب بنور توحيد الله واتباع شرع الله، فإنه يمتلأ بمحبه الله وأولياء الله، فيعتصم معهم بحبل الله، يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: ١٠٢ – ١٠٣].

وهذه هي أعظم وصية من الله تعالى لعباده المؤمنين.

أولًا: الثبات على التوحيد حتى الممات:

عن جابر قال أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار"[١].

ثانيًا: الاعتصام بحبل الله (كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض"[٢].

ثالثًا: الاجتماع وعدم التفرق:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة"[١].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صححه الألباني وقال: أخرجه مالك مرسلًا والحاكم مسندًا وصححه.

فهلا أخي المسلم الحبيب تآخينا وتواثقنا وتعاهدنا على إقامة مراد الله منا ووعده فينا، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]. وقال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [النور: ٥٥].

ولن يكون ذلك إلا بالاجتماع على التوحيد، والاعتصام بحبل الله كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والتوحد والإخاء وعدم التفرق.

فهذه الثلاثة عمد هي سبيل تحقيق مراد الله منا من إقامة دين الله في الأرض، ووعده فينا بالنصر والتمكين في الدنيا وجنات النعيم في الآخرة.

الأصل الأول: التوحيد ووحدة العقيدة

إن أول ما ينبغي على الإنسان العاقل أن يسأل نفسه:

١- من الذي خلقني، وأوجدني من العدم؟ وما هو قدر صفاته؟

٢- ولماذا خلقني، وما ينبغي علي تجاهه؟

٣- هل يستوي من علم وعمل بمقتضى ذلك مع من لم يعلم أو لا يعمل؟

فإذا علم الإنسان إجابة هذه الأسئلة، وعمل بمقتضى ذلك، كان كالشمس التي تسري وتستقيم في مسارها فتستديم وتنير الكون.

أما إذا لم يعلم ذلك، أو علم ولم يعمل بمقتضى ذلك، فهو كالنيزك الذي يتفلت وينطلق بلا التزام بصراط، فيصطدم بالكواكب الأخرى فيهلك ويحدث فيها أضرارًا.

ولذلك بعث الله الرسل، وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، ليعرفوا العباد بالله وليعلنوهم بتفرد الله بصفات الجلال والكمال، وأنه هو وحده الذي يستحق العبودية والإجلال ومن أجل ذلك خلقهم:

١- أن يعلموا عظمة خالقهم فيقدروه حق قدره في صفاته وتفرده بها.

٢- أن يفردوه بالعبادة. {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}

٣- أن من أثبت صفات العظمة لله تعالى وأفرده بها، وعمل بمقتضى ذلك من إفراده بالعبودية، كان مصيره إلى الجنة.

أما من كفر بذات الله أو ببعض صفاته أو أشرك معه فيها غيره، أو كفر بالعبودية لله أو أشرك معه فيها غيره كان مصيره إلى النار.

وتلك إجابة الأسئلة التي يجب على كل عاقل أن يسألها لنفسه، وهو ما سوف نتناوله إن شاء الله في بيان التوحيد في هذه الرسالة.

نسأل الله العلي القدير أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يهدينا إلى صراطه المستقيم.

{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}.

([1]) صححه الألباني في الجامع وسنن الترمذي.

إن كل من له عقل يدرك تمامًا أن الله تعالى هو الذي خلق جميع الخلق، وأنهم لم يكونوا من قبل شيئًا، فأوجدهم ربهم من العدم.

قال تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ} [الطور].

فمن الذي أنشأنا من التراب وقد كنا جميعًا في طي العدم والنسيان؟

قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠) } [الروم].

وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤)} [الفرقان].

وكذلك يدرك من له أدنى بصيرة بأن كل ما يجري في الكون إنما هو بتصريف الله وتقديره وحده. فالذي أوجده من العدم بلا شريك ولا منازع، فلا بد أن يكون له حرية وكامل التصريف فيه بلا شريك.

فلننظر إلى السماء، قال تعالى: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦)} [ق].

هذه الشمس التي نراها، إنها كما يقول علماء الفلك أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة، ومع ذلك فلها فلك ومسار محدد تسري فيه، فكل يوم تشرق في ميعاد دقيق ووقت محدد بالدقيقة والثانية، لا هي لا تتقدم ولا تتأخر، ولا تحد يمنة ولا يسرة، مع عظم حجمها، ثم هي يدور حولها تسعة كواكب أغلبها أعظم حجمًا من الأرض، كل له مساره المحدد زمانًا ومكانًا، وهذه المجموعة الشمسية معها مئات الآلاف من المجموعات الشمسية الأخرى تكون ما يسمى بالمجرة، وكل مجموعة منها تدور حول مركز المجرة، وهذه المجرة معها مئات الآلاف من المجرات الأخرى تكون ما يسمى بالمدينة الكونية وكلها تدور حول مركز هذه المدينة الكونية، وهناك مدن كونية أخرى، مئات الآلاف من الكواكب والنجوم، مئات الآلاف من المجموعات، مئات الآلاف من المجرات، من الذي يسير كل منهم في فلكه فلا يشغله تسيير كوكب عن كوكب ولا مجموعة عن مجموعة ولا مجرة عن مجرة.

{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)} [الذاريات].

{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)} [يس].

هل هذه الأفلاك لها عقل مدبر يجعلها تسير بإحكام ولا يصطدم بعضها ببعض، بل إن البشر الذين أعطاهم الله العقل، يصطدم بعضهم ببعض بقصد أو بدون قصد، ويتصارع بعضهم مع بعض، قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)} [الأحزاب].

أي أن الله تعالى حينما خلق هذه السموات بأفلاكها وشموسها العظيمة والأراضين بجبالها العظيمة، عرض عليها أن يضع لها قوانين وتشريعات تسير عليها، ثم يترك لها الاختيار، على أن يعاقب المخالف وينعم على المتبع، فأشفقن من عظم المسؤولية وخطورة المخالفة لقوانين الله تعالى، وأسلموا أمرهم لله تعالى فهو الذي يتصرف فيهم بلا تكليف لهم، ثم حمل الإنسان تلك الأمانة وتكاليفها، فلم يسلم نفسه لشرع ربه وخالقه الذي وضع له مساره الذي لا ينصلح أمره إلا بالسير عليه {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا...}.

فتلك عظمة الله في عظائم صنعته، فتعالوا لنرى عظمة الله في صغائر صنعته.

هذه المادة التي تتكون منها الأرض والسماء؛ تتكون من جزيئات، وهذه الجزيئات تتكون من ذرات، والذرة هي وحدة المادة كما أن المجموعة الشمسية هي وحدة الكون.

والذرة تتكون من نواة هي مركز الذرة وتدور حولها إلكترونات، كما تدور الكواكب حول الشمس، هذه الإلكترونات تسير بسرعة مهولة وطاقة كبيرة، بحيث أن هناك بعض الإلكترونات لو خرجت من مسارها اصطدمت بإلكترونات أخرى، وهذه تصطدم بتلك بما يسمى بسلسلة الانشطار الذري، فمن الذي يمسك كل إلكترون في مساره من قديم الأزل ومن ملايين السنين، بحيث لا يصطدم بغيره، ومن الذي يتحكم في ملايين الإلكترونات في حبة الرمل الواحدة وجعل لكل إلكترون منها مساره الخاص به، مع أنه مادة لا تبصر ولا تعقل.

من الذي نظمها وأحكم مساراتها مع كثرتها اللامتناهية من ملايين السنين؟

إنه هو الله، الذي لا يعجزه مهما عظم وكبر فلك دوار، ولا يفلت من بين يديه ولا يعزب عنه مهما دق وكثر ذر بليل أو نهار، لذلك لما أمر لقمان ابنه بتوحيد الله وعدم الإشراك به، لم يستدل له إلا بدليل واحد..

{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦)} [لقمان].

- **وكذلك عظمة الله في الحيوان والنبات.**

فمن الذي نظم حبات القمح والذرة والأرز، ومن الذي نظم أوراقها ومن الذي أعطى ثمار الفاكهة اللون الجميل، والمنظر البديع، والطعم الحسن الهضيم، {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)} [عبس]

فطعامنا الذي نأكله؛ لا يستطيع علماء العالم مع أعظم ما معهم من تكنولوجيا أن يصنعوا مقدار حبة من قمح، فالله وحده هو الذي يخلقه بلا شريك.

وكذلك إذا أكلناه فمن الذي يتولى تصنيعه إلى لحم وعظم ودم، فالله وحده هو الذي يتولى ذلك بلا شريك.

فلو اجتمع ما بأقطار الأرض من علماء مع ما أوتوا من تكنولوجيا على أن يصنعوا قطرة دم أو أظفر أو حتى شعرة ما استطاعوا !!.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) } [الحج...].

{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢)} [سبأ].

فإذا كان الله وحده الذي خلق الخلق بلا شريك وهو المالك الملك لهم بلا شريك فلا بد وأن يكون له الأمر له وحده بلا شريك، قال الله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأنعام].

أي كما خلقهم بلا شريك فله الحكم والأمر فيهم وحده بلا شريك قدرًا وشرعًا، فهو وحده الملك الذي لا شريك له في حكمه ولا مناوئ له في سلطانه، وإن تناساه الخلق، فهو لعظيم حلمه أمهلهم لأجل مسمى، فإن لم يأتمروا بأمره الشرعي كما أمر على ألسنة الرسل؛ فلن يفلتوا من أمره القدري، فماضٍ فيهم حكمه وعدل فيهم قضاؤه.

فيجب على من أراد أن يسلك سبيل الإيمان بالله تعالى أن يقدره حق قدره في أمرين:-

أولا:- أن يعلم عظيم قدر ذات الله وعظيم صفاته وحقوقها قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)} [الزمر].

ثانيا:- أن يقدر الله حق قدره بإظهار العبودية له؛ باتباع ما أمر به على ألسنة الرسل، قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)} [الأنعام].

أي الأول تعظيم ذات الله وصفاته وأفراده فيها، والثاني، إفراد الله بالعبودية له بما أمر على ألسنة الرسل.

وهذان الأمران هما التوحيد الذي بعث به الرسل ودعوا أقوامهم إليه وهما معنى "لا إله إلا الله".

كلمة التوحيد ((لا إله إلا الله)) واشتمالها على التوحيد كله والدين كله

إن العروة الوثقى في دين الله هي ((لا إله إلا الله)) التي جاءت مشتملة على الدين كله، على التوحيد كله، وهي أعظم كلمة، ذكرت في أعظم آية، فيها أعظم اسم، فهي الكلمة التي من أجلها خلق الله السموات والأرض، ومن أجلها خلق الله الملائكة والإنس والجان، ومن أجلها بعث الله الرسل وأنزل الكتب، ومن أجلها تتزلزل الأرض وتسير الجبال، وتنشق السماء وتنفطر وتتطاير النجوم وتنكدر، ويحشر العباد وتتطاير الصحف، وتوضع الموازين، وينصب الصراط، ومن أجلها خلقت الجنة والنار، واختصم فيها الناس إلى متقين وفجار، فمثوى المؤمنين بها جنات عند ربهم، ومثوى الكافرين النار، لذا كان أول واجب على العباد أن يعلموها حق العلم وأن يعملوا بمقتضاها.

- **فضل (لا إله إلا الله)**

قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)} [سورة الأنبياء: ٢٥]

وفي الصحيحين عن عتبان بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"[١].

وعن أبي موسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أبشروا وبشروا من ورائكم أنه من شهد ألا إله إلا الله صادقا بها دخل الجنة"[٢].

(١) تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم ١٧٩٣ في صحيح الجامع.

(٢) تحقيق الألباني (صحيح) أي صحيح الجامع.

وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أفضل الكلام لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله"[١].

- **معنى لا إله إلا الله**

هي نفي وإثبات يفسره قول الله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا} [البقرة ٢٥٦]، هي نفي للإلهية عما سوى الله عز وجل وإثباتها لله وحده، وحتى نفهمها لا بد لنا أن نعلم أولًا معنى الإلهية لغة وشرعا؛

* معنى الإله "أو الإلهة في اللغة جاءت على خمسة معاني:

١) الإله: الخالق[٢]. ٢) المجير[٣]. ٣) العلي المتعالي[٤]. ٤) المعية الدائمة[٥]. ٥) الإله المعبود[٦].

ومن تدبر تلك المعاني وجد أن الخلق والملازمة والمعية الدائمة والإجارة والعلو من ألزم صفات الإلهية والعبودية هي الحق الذي تستلزمه تلك الصفات. وهذا هو معنى "الإله" الذي جاء به الشرع، إذ هو "المعبود لصفاته العلية".

أو هو "الموصوف بالصفات العلية التي يستحق عليها العبودية ".

أو هو " الموصوف بصفات الجلال والكمال التي يستحق عليها العبودية والإجلال".

فمن لوازم معنى الإله أن نعلم أنه هو الخالق وهي صفة من صفاته تستلزم أن نسلم له أنفسنا وننقاد إليه، وكذلك أن الرزاق صفة من صفاته تستلزم من العباد أن يطلبوا منه الرزق وأن يشكروه على ذلك، وكذلك أنه هو السميع البصير العليم الذي أحاط بكل شيء سمعا وبصرا وعلما؛ بما يستلزم من عباده المراقبة؛ وكذلك أنه هو القاهر بما يستلزم من عباده الخشية، وهكذا يكون الإله هو "الموصوف بالصفات الإلهية العلية التي يستحق عليها العبودية".

فيكون تفسير كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) على شقين متكاملين لا غنى بأحدهما عن الآخر وهما:

١- ليس موصوفًا بالصفات العلية التي يستحق عليها العبودية إلا الله.

٢- لا معبود بحق إلا الله؛ لأنه هو وحده الموصوف بالصفات العلية التي يستحق عليها العبودية.

وبذلك فإن كلمة التوحيد هي (انفراد الله بالصفات الإلهية التي تستلزم إفراده بالعبودية) أو (إفراد الله بالعبودية لانفراده وحده بالصفات العلية).

وهذا هو المعنى الذي جاء به القرآن من أوله لآخره، قال تعالى في أول كتابه: {رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} وهي كلها إفراد بالصفات ثم تتبع بإفراد في العبودية {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وقال

---

(١) حديث حسن صحيح الجامع ١١٠٤(١) ت.

(٢) قال جمهور أهل اللغة: إن الله أصلها الإله، وقالت العرب (لاه، ولاهم اختصارا) و وفي لسان العرب والقاموس المحيط: لاه الله الخلق: أي خلقهم.

(٣) تقول العرب: أله الرجل يأله، أذا فزع من أمر نزل به فألهه أي أجاره (تفسير ابن كثير، الفاتحة).

(٤) تقول العرب لاهت الشمس إذا علت وارتفعت، ويقولون لأي مرتفع من الأرض لاء (تفسير ابن كثير، الفاتحة).

(٥) تقول العرب (ألهنا بالمكان)، أي التزمنا بالمكان بالإقامة فيه. ونقول (أله الفصيل): إذا لزم أمه فلم ينفك عنها.

(٦) وقال رؤبة بن العجاج: لله در الغانيات المدة سبحن واسترجعن من تألهي أي أن المغنيات المادحات سبحن واسترجعن من كثرة تعبده.

تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [سورة الأنعام: ١٠٢]، انفراد بالصفات يستوجب الإفراد بالعبودية، وقال تعالى: {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [غافر: ٦٥].

وقال تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى.....} أمر بالعبودية وهي التسبيح لصاحب الصفات التي تستجوبها. وذلك إلى آخر القرآن في آخر سورتين، الفلق والناس، فإنهما تقديم لأعظم العبادة وهي الاستعاذة بصاحب الصفات التي بها يعيذ عباده حين يلجئون إليه ويعتصمون به قال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ}، وقال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣)} وحينما عاين فرعون عظمة القدرة الربانية المطلقة قال: {آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ} فأيقن أنه لا يستحق العبادة والتأليه إلا صاحب تلك الصفات. وذلك حين لا ينفع الإيمان.

ويكون ذلك مقتضيًا من العباد أمرين:-

أولًا:- نفي صفات الإلهية عما سوى الله تعالى وإثباتها لله وحده، وهو ما يطلق عليه علماء السنة توحيد الأسماء والصفات (والمشتمل على توحيد الربوبية).

ثانيًا:- عدم العبودية لغير الله تعالى وهو ما يسمى بتوحيد العبادة.

أولًا: توحيد الأسماء والصفات:

وهو نفي صفات الإلهية عما سوى الله تعالى وإثباتها لله وحده. وذلك بتحقيق ثلاثة أشياء:

١- ألا نصف أحدًا من المخلوقين بصفة بالقدر الذي لا يليق إلا بالله تعالى، فسمع الله أحاط بكل شيء، فإذا قلت إن فلانا يسمعني أينما كنت حتى لو كان نبيا فقد جعلته شريكا لله في صفة من صفاته وهو شرك أكبر.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تتخذوا قبري عيدًا ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا وحيثما كنتم فصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني" تحقيق الألباني. صحيح.

وفي رواية: "فإن صلاتكم معروضة علي".

فصفات الله ليست محدودة زمانا ولا في السعة والإحاطة مكانا ولا تعلم كيفيتها، أما صفات المخلوقين فمحدودة زمانا ومكانا وتعلم كيفيتها. كذلك من قال أن فلان حي لا يموت حتى لو كان نبيا فقد جعله شريكا لله تعالى، قال تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}، فهناك وقت سوف يفنى فيه جميع الخلائق.

وقال تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}. وقال: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}.

حتى وإن كان حيا عند ربه فهي حياة برزخية مفصولة عن حياة الدنيا.

كذلك من قال ((أن فلان يقول للشيء كن فيكون)) فقد جعله شريكا لله، فإنه لا يقول للشيء كن فيكون إلا الله تعالى، قال الله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ}.

فإذا كان هناك أحد من البشر يقول للشيء: كن فيكون لكان رسول أولى بذلك، ولكنه أمره بأن يخبرهم بأن الآيات هي لله وحده، بل إنه صلى الله عليه وسلم لما سئل عن فتية في غابر الدهر قال غدًا أجيبكم فأنزل الله تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ}.

قال ابن كثير: ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال سليمان بن داود نبي الله لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه أو الملك قل إن شاء الله فلم يقل ونسي فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركًا له في حاجته".

وفي رواية: "ولقاتلوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون (١)(٢)

وقد تقدم في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي صلى الله عليه وسلم، لما سئل عن قصة أصحاب الكهف: "غدا أجيبكم". فتأخر الوحي خمسة عشر يوما.

وكذلك صفة العلم، فمن أعطى العلم المطلق لغير الله، فقال إن فلان يعلم الغيب أو عنده علم كل شيء فقد أعطاه صفة الله وأشرك شركًا أكبر.

قال تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل ٦٥].

وقال تعالى في حق خير الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: ١٨٨]

فالمخلوق مهما بلغ شأنه فهو عبد لله تعالى لا تبلغ صفاته إلى صفات الخالق وإلا كان ذلك شركًا أكبر.

فمن المعلوم أن الذي يقول للشيء كن فيكون هو الله بلا شريك، وأنه هو الذي أحاط بكل شيء علمًا بلا شريك، وأنه هو الذي أحاط بكل شيء سمعًا وبصرًا بلا شريك، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه أينما كان بلا شريك، وكل هذه من صفات الإلهية، فمن نسبها لغير الله فقد اتخذ مع الله إلهًا آخر سواء قال إنه إله أو لم يقل.

والمشركون بالله عز وجل ليس شرطًا أن يسموا معبوداتهم آلهة في كل عصر، ولكنهم يطلقون عليهم بعض صفات الإلهية، فإذا نفيت عنهم تلك الصفات غضبوا غضبا شديدا، لأنك بزعمهم قد شتمت وسببت معبوداتهم، وإن لم يسموها آلهة، وإن لم يسموا دعاءهم لها وتقربهم إليها بأعظم القربات وعكوفهم عند قبورهم، إن لم يسموا ذلك كله عبادة.

وفي حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه: عن أبي واقد الليثي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنوط يعلقون عليها أسلحتهم قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنوط كما لهم ذات أنوط، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وأبو واقد الليثي اسمه الحارث بن عوف، وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة.

٢- ألا نصف الله بصفة بالقدر الذي يليق بالمخلوق، فمن اعتقد أن الله له صاحبة أو ولد فهو كفر بالله، ومن جعل له وسطاء في العبادة والتقرب يوصلون عباده إليه، فقد شبه الله بخلقه وهو كفر وشرك فإن الله لا يحتاج إلى وسيط قال تعالى: {قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

وكذلك من قال بأن الله حال بذاته في كل مكان أو أنه يحل في مخلوقاته، فقد كفر.

ولا نصفه سبحانه بعدم الحكمة في التقدير أو غيره مما لا يليق به سبحانه.

٣- ألا ننفي ونعطل صفة من صفات الله تعالى مما أثبته الله لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم دون تشبيه أو تمثيل.

كصفات الوجه والسمع والبصر فالله تعالى يقول: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} فنؤمن بأن الله له وجه وأنه سميع بصير كما أثبت الله ذلك لنفسه دون تشبيه أو تمثيل أو تخيل للكيفية {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

وكذلك صفة العلو فوق العرش قال تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} أي من في العلو فوق عرش، وقال: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}. فمن أعظم المصائب في الدين نفي صفة العلو لله والقول بأن الله بذاته في كل مكان؛ بل هو فوق كل شيء ومحيط به، فهو مع أنه فوق العرش فقد استوى بعلمه وسمعه وبصره من في السماء السابعة من ملائكة مسبحات مع من في الأرض السابعة من صخور سحيقات.

بل إن أعظم باب للشرك في هذه الأمة والأمم السابقة هو نفي صفة العلو لله تعالى، والقول بأنه في كل مكان، فخلطوا بين ذات الله وذوات المخلوقين، فمنهم من قال بأن هذا الوجود وحدة واحدة وهي الله تعالى وهو فكر الملحدين أهل "وحدة الوجود" أو حل في بعض خلقه كالنصارى الذين قالوا إن الله هو "المسيح عيسى بن مريم" وكأهل الحلول والاتحاد "الذين قالوا إن الله حل بذاته في جميع صور المخلوقات وتصور بها وتحدث، وهؤلاء أشد كفرًا من اليهود والنصارى والفرق بينهم وبين أهل وحدة الوجود أن أهل وحدة الوجود لا يثبتون الصور، وكذلك مثلما خلطوا بين ذات الخالق وذوات المخلوقين فإنهم خلطوا بين صفات الخالق وصفات المخلوقين وإنما الصفات لاحقة بالذات.

حتى قال ابن عربي في الفتوحات المكية (بل الشيطانية):-

الرب عبد والعبد رب   يا ليت شعري من المكلف

وقال " هذا الاسم الإلهي الباطن الذي أنت به في الوقت متحدا وله مشاهد سترا على الاسم الإلهي الظاهر فحق الحق عين الخلق فأنى تصرفون " انتهى.

أي يدعي هذا الزنديق أن حق الحق وهو الله هو نفسه عين خلقه، سبحانه عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وقال ابن عجيبة الصوفي:

وإذا قيل من تهوى فقل ... أنا من أهوى ومن أهوى أنا

وقال: قال الششتري

لقد أنا شيء عجيب... لمن رآني

أنا المحب والحبيب... ليس ثم ثاني اهـ

فعبدوا المخلوقين على أن الله قد أظهر فيهم صفات الإلهية أو هم أنفسهم ذات الله سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

فلا بد أن يفرق المسلم بين الخالق والمخلوق في ذاته وفي صفاته، حتى لا يقع في الشرك دون أن يدري، فيؤمن بعلو الله فوق خلقه وبأنه غير مخالط لهم، وهم جميعا عبيد له تحته ومقهورون بسلطانه، وأنه هو وحده الذي له كمال القدرة والغنى والبقاء، وهم موصوفون بالعجز والفقر ويلحقهم الفناء.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبين للصحابة والأمة من بعدهم الفرق بين صفات الخالق والمخلوق دون تحرج حتى لا يلتبس الأمر عليهم فعن ابن عمر رضي الله عنهما:

(قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال إني لأنذركموه وما من نبي إلا أنذره قومه لقد أنذر نوح قومه ولكني أقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور). (رواه البخاري ومسلم).

وهناك طوائف من هذه الأمة قد وقعوا في الأمر، فخلطوا بين ذات الخالق وذات المخلوقين وبين صفات الخالق وصفات المخلوقين، الذين قالوا بأن الله هو علي أو هو الإمام المعصوم، وكذلك الذين قالوا بأن الله هو الشيخ نفسه، أو أن الله هو عين كل شيء، أو البهائية الذين قالوا بأن البهاء هو الله أو هو مظهر وجود الله.

ويلبسون على العامة ببعض المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله وكما جاء في الحديث القدسي: (يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلانًا فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي) (رواه مسلم) فالله فسر لنا متشابه الحديث.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب ألي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه) ((أي كنت وليه في سمعه وبصره ويده ورجله وإجابة دعائه)).

وهذا أيضًا من الأحاديث التي يلبسون بها على عامة الناس بل إنهم قاموا بالكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فوضعوا جزءا ليس في أصل الحديث وهو (يقول للشيء كن فيكون) فجعلوا بذلك المخلوق هو عين الخالق في ذاته وصفاته، سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا.

توحيد الأسماء والصفات واشتماله على توحيد الربوبية

إن صفات الله تعالى تنقسم إلى صفات ذات وصفات أفعال، فأما صفات الذات كصفة الوجود، والحياة، والسمع، والبصر...، وأما صفات الأفعال فتنقسم إلى قسمين:

الأول: صفات أفعال متعلقة بذات الله تعالى: كالاستواء والنزول والمجيء، نؤمن بها كما أخبر بها ربنا تبارك وتعالى دون تعطيل أو تشبيه أو تكييف.

والثاني: صفات أفعال متعلقة بالخلق: كالإحياء والإماتة والخلق والرزق والتدبير وتسمى بصفات الربوبية.

توحيد الربوبية

وهو إفراد الله بأفعاله المتعلقة بالخلق (كالإحياء والإماتة والخلق والرزق والتدبير) وقد جعله العلماء في قسم مستقل رغم أنه من الأسماء والصفات من باب عطف الخاص على العام لبيان أهميته في أمرين:

١) للتذكير بعظمة صنع الله وقدرته وآلائه ونعمه على خلقه واستثارة العبودية فيهم، وهي طريقة القرآن في الدعوة إلى توحيد الله قال تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ}، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ}.

٢) لبيان ما كان عليه المشركون من توحيدهم لله تعالى في ربوبيته وأن ذلك لم يخرجهم عن كونهم مشركين لأنهم لم يفردوا الله بالعبادة. قال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ}.

وتوحيد الربوبية مجمل في قوله تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} أي أن الله هو الذي خلق ورزق ودبر الأمر وحده، وكذلك له الملك والسلطان والأمر وحده.

توحيد الربوبية واعتقاد أهل السنة والفرق		
قدري (الخلق)		
اعتقاد أهل السنة	القدرية	الجبرية
يؤمنون بالقدر خيره وشره كل من عند الله وأن القدر على أربعة مراتب: (١) العلم: وهو أن الله علم ما كان وما يكون وما سيكون (عالم الغيب والشهادة). (٢) الكتابة: وهو أن الله كتب كل ما هو كائن قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة (وكل صغير وكبير مستطر). (٣) المشيئة: وهو أن كل شيء يحدث في الوجود إنما هو بمشيئة الله وحده وإرادته (وما تشاءون إلا أن يشاء الله). (٤) الخلق والإيجاد: وهو أن الله خلق كل شيء وما يؤول إليه، والعباد وأفعالهم. (والله خلقكم وما تعملون)	ويعتقدون أن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها، وأن العباد خالقين لأفعالهم ولا دخل لله فيها سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرا، وهؤلاء هم مجوس الأمة، فالله خلق الخلق وهو عليم بما يستحقونه من الجنة أو النار، فهؤلاء أهل النار بعدما وقفوا عليها وقالوا: (يا ليتنا نرد ونعمل غير الذي كنا نعمل) فيكذبهم الله (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وهذا من حكمته وعلمه وعدله، وفي المقابل فإن الله قبل توبة من قتل مائة نفس وفتح باب التوبة لكي لا يكون حجة لأحد وهذا من رحمته وفضله.	وهم الذين يحتجون على المعصية بالقدر، فإذا فعلوا فاحشة قالوا إن الله قدرها علينا ويصرون عليها ويقولون (أقام العباد فيما أراد)، وهم أتباع مشركي قريش إذ قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا)، يرد عليهم بأن الله خلقهم بقدره مختارين لما يرونه صالحًا لأنفسهم، فإذا رأى أحدهم نارًا ابتعد عنها ولم يسلم نفسه لها ويقول هذا قدر الله، وإذا علم أحدهم تجارة أو وظيفة رابحة سابق إليها، ولم يتوانى عنها ويقول هذا قدر الله. كذلك فإن أمر الآخرة أولى بامتثال الأمر لتحصيل المصلحة واجتناب المفسدة في الدنيا والآخرة.

توحيد الربوبية واعتقاد أهل السنة والفرق		
شرعي (الأمر)		
اعتقاد أهل السنة	**المرجئة**	**الخوارج**
أن الدين أو الشرع أو الإيمان اعتقاد وقول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار، وأنهم إن ماتوا على كبيرة دون توبة فأمرهم إلى الله إن شاء عفا عنهم بخالص توحيدهم وإن شاء عذبهم.	أن الإيمان تصديق فقط، أو تصديق وقول، وأن المرء قد يتخلى عن كل أعمال الشرع والدين ويكون مؤمنًا وسبحان الله فقد فتحوا ببدعتهم هذه أعظم باب لتعطيل الشرع، ويرد عليهم: ١) أن الإيمان هو التصديق الذي يطمئن إليه القلب فتنقاد إليه الجوارح فإن أبا طالب كان مصدقًا للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم ينقد إليه. ٢) أن العبودية في الائتمار، فمن لم يأتمر بأوامر الله فليست له عبودية لله. ٣) أن الشرع جاء بأن الإيمان قيام بأعمال وترك لأعمال، وكذلك الكفر.	وهؤلاء غالوا في إثبات الأعمال في مقابل المرجئة الذين فرطوا في إثبات الأعمال في الإيمان فقال الخوارج إن مرتكب الكبيرة كافر ومخلد في النار.

من أسس (قواعد) الإيمان بصفات الله

أولًا: قاعدة مباينة ذات الله للمخلوقات بالعلو والفوقية:

"أن الله عليٌّ بذاته فوق خلقه وفوق العرش، علو شأن، وعلو قهر، وعلو فوقية".

قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} وقال: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ}، وقال صلى الله عليه وسلم للجارية "أين الله؟" قالت: في السماء، فقال لسيدها: "اعتقها فإنها مؤمنة". (رواه البخاري)

فهو سبحانه فوق العرش محيط بكل شيء، لا يعزب عنه شيء، فلا تبعد عليه المسافات، فاستوت بعلمه وسمعه وبصره ما في السماء السابعة من ملائكة مسبحات مع ما في الأرض السابعة من صخور سحيقات.

نفاة صفة العلو		
المعطلة	**المؤولة والمشبهة (الذين قالوا أن الله في كل مكان)**	
وهم الذين قالوا بأن الله ليس فوق العرش ولا تحته ولا في أي مكان، وكما نفوا صفة العلو لله نفوا صفاته من قبل، فهم يعبدون عدما.	أهل وحدة الوجود وهم الذين قالوا بأن الوجود كله وحدة واحدة وهي الله تعالى، مع نفيهم لصور المخلوقات فهي عندهم ليست حقيقة، أي لا يثبتون الصور، فجعلوا إلههم هو الوجود بلا تعيين للصور، ولا إله إلا الله عندهم تعني لا موجود إلا الله.	أهل الحلول والاتحاد وهم الذين قالوا بأن الله حل بذاته في جميع المخلوقات، فتصور بصورهم وهو المتحدث فيهم، وأن الظاهر في جميع الصور هو الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرا.

والمؤولة يحتجون بقوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُم} وهو وهم لسببين:

١) أن المعية لا تقتضي معية الذات، فهذا الإنسان يتحدث مع أخيه الإنسان خلال الهاتف ويقول له من معي، وأنا معك (أي بسمعه)، وقد يكون أيضًا ببصره) وبينهما آلاف الكيلو مترات، فما بالنا بالله تعالى، الذي هو معنا أينما كنا بسمعه وبصره وعلمه ونحن في قبضته.

٢) أن تباعد المسافات لا تأثير له على الإطلاق في سمع الله وبصره وعلمه وقدرته لأن التأثير بتباعد المسافات عجز، والعجز محال على الله تعالى، فقد استوى بسمعه وبصره وعلمه وقدرته ما في السماء السابعة من ملائكة مسبحات مع ما في الأرض السابعة من صخور سحيقات، كل عنده سواء.

ثانيًا: قاعدة مباينة صفات الله لصفات المخلوقين بالكمال المطلق لله والعجز المطبق للمخلوقين:

"أن تسمي بعض المخلوقين ببعض أسماء صفات الله تبارك وتعالى لا تقتضي المشابهة والمماثلة فصفات الله تعالى ليست محدودة زمانًا ولا في السعة والإحاطة مكانًا ولا تعلم كيفيتها، أما صفات المخلوقين فمحدودة زمانًا ومكانًا، وتعلم كيفيتها".

فسمع الله وبصره وعلمه أحاط بكل شيء، ولا حد لسعة إحاطته مكانًا ولا زمانًا ولا تعلم كيفيته، أما سمع المخلوقين وبصرهم وعلمهم فمحدود زمانًا ومكانًا، وتعلم كيفيته، مهما بلغت قوتهم ومنزلتهم فليس هناك محل للشبه والمماثلة.

ولا يؤمن العبد حتى يعترف لربه بالقدرة المطلقة والعطاء، ويقر على نفسه وغيره بالفقر والعجز والفناء.

يقول ابن عباس رضي الله عنه: (ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء) هذا في الفرق بين ثمار الدنيا وثمار الجنة أي لا تشابه إلا في الأسماء فقط فما بالك بالفرق بين صفات الله وصفات المخلوقين. كصفة الرحمة والعدل والرأفة والحلم والعلم والسمع والبصر واليد والوجه والكلام والاستواء.

يقول الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

ثالثًا: قاعدة التوقيف في الصفات:

"لا دخل للعقل في إثبات أو نفي دون ما تقرر في كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم دون تشبيه أو تمثيل أو تكييف أو تعطيل أو تحريف أو تأويل".

* فلكي يصف أحد شيئًا فلا بد أن يتوفر في الموصوف شيئين:

أن يكون الموصوف قريبًا من قدر الواصف أو في حدود إمكاناته، ألا يكون الموصوف غيبًا بالنسبة للواصف.

فأما عن الأولى: فإن الإنسان عاجز عن وصف المخلوقات التي هي أعظم منه حجمًا، فإنه لا يستطيع وصف الجبل، فإذا وصفه فلن يستطيع وصف الأرض فإذا وصفها فلن يستطيع وصف هذا الكون الفسيح أمامه أو أن يدرك امتداده ونهايته، فهذا الإنسان عاجز أمام المخلوق أمامه فما بالكم بالخالق تعالى.

والله ليس له ند ولا مثيل فيستطيع أن يعلم قدر صفات الله تعالى وكيفيتها، فلا يعلم قدره إلا هو سبحانه، قال تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: ١١٠].

أما عن الثانية: فإن العقل عاجز عن وصف روحه مع أنها في نفسه التي بين جنبيه، لأنها غيب بالنسبة له، فما بالكم بالله سبحانه. فصفات الله عز وجل لا تدركها الأبصار ولا العقول إدراك إحاطة، قال تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)} [الأنعام].

* **جامع مسألة التأويل في الصفات:**

أولًا: ما لا وجه له في لغة العرب إلا تأويل المراد عن ظاهر المعنى. كقول المرأة لابنها "أنت في قلبي – أنت في عيني – أنت في عينيَّ- أنت في عيوني".

فنثبت لها القلب والعين، ولكن بتأويل المراد وهو الحب والرعاية، وليس المقصود هو ظاهر اللفظ وهو أنه بجسده بداخل قلبها أو عينها.

ومثال ذلك قول الله تعالى: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}، فنثبت صفة العين لله تعالى بلا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل، ونؤول المراد وهو الحفظ والرعاية.

ثانيًا: ما جاءت النصوص الصحيحة نفسها أو غيرها برد ظاهر المعنى لمخالفته لأصول الاعتقاد التي جاءت بها الشريعة.

ومثال ذلك ما أتى في الحديث القدسي "يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أطْعِمُكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي! يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أسْقِيكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ! أمَا إنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي!".

وقوله أيضًا: "فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها"، فيرد ظاهره قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، وقوله تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} وقوله تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} والسماء هنا بمعناه اللغوي المطلق وهو العلو فوق أعلى شيء في الخلق وهو العرش.

ثالثًا: أن باقي النصوص نؤمن ونصدق بما جاء بها من صفات الله تعالى بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل.

كقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]، {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨] {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٧] { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤] { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [المائدة: ١١٩] { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٤] {غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ} [المجادلة: ١٤].

رابعًا: أن يعلم أن أحق ما يبذل فيه نفسه وماله وعلمه هو الجهاد في سبيل ذات الله والدفاع عنها بكل مهجة.

فيغار أشد الغيرة عندما تنتقص من صفات الله عز وجل أو يكفر بها أو يشرك به فيها، ألم تر أن السماوات والأرض والجبال غضبت وغارت واستنكرت أشد الاستنكار حينما دعي لله ولدا {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) } [مريم: ٨٨-٩٥].

*** ثانيًا: توحيد العبادة:**

لقد بعث الله تعالى جميع الرسل بالدعوة إلى توحيد العبادة لأنه هو البيان العملي للتوحيد، قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠] وقال: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦].

والعبادة في اللغة: الذل والخضوع، قال القرطبي: أصل العبادة التذلل والخضوع، وقال شيخ الإسلام: العبادة هي: "كمال الذل مع كمال الحب".

وقال أيضًا: "العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله على ألسنة الرسل".

وقال أيضًا: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وبتعريف آخر: "هي كل ما اختص الله به نفسه دون غيره من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة".

فالله يرضى للعبد أن يحب الله ورسوله، أما أشد المحبة فقد اختص الله بها دون غيره.

فقد رضي الله سجود التحية لغيره في الأمم السابقة وكذلك المحبة، أما أشد المحبة فقد اختص الله بها نفسه، والسجود فقد اختص الله به لنفسه في هذا الأمة.

أقسام العبادة	
عبادات فطرية	**عبادات تكليفية**
وهي عبادات يفعلها العبد من تلقاء نفسه حتى ولو لم يكلفه الشرع بها، وتكون بمحض إرادة الإنسان وهي نتيجة للتأليه المترتب على عظيم المحبة والخوف والرجاء، واعتقاد الضر والنفع، والعلم بمصلحة العبد، ومن أمثلتها الدعاء، وتقديم القرابين، والخوف والمحبة والرجاء والتحاكم، **ومن أعظم الطوام** أن كثيرًا من عوام هذه الأمة لا يعلم أنها عبادات، وأن صرفها لغير الله شرك، ظنًا منه أن العبادات قاصرة على العبادات التكليفية فقط، كالصلاة والصيام والزكاة والحج، فهذا هو مبلغ علمهم في معرفة العبادة، ويقول إنني لا أصلي لغير الله ولا أصوم لغير الله فأنا موحد بالله.	وهي العبادات التي كلفنا الشرع بأدائها بكيفية مخصوصة، وأوقات مخصوصة، كالصلاة والصيام والزكاة.

فإن العبد مفطور على الإيمان بوجود الله واللجوء إليه وشكره الله على نعمه ومحبته والخوف منه والشكوى والتحاكم إليه عند الحاجة والمظلمة، وهذه أعظم العبادات على الإطلاق، كل ذلك يفعله العبد وإن لم يأته رسول من عند الله.

عن أبي هريرة أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه ، ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء». رواه البخاري ومسلم.

وفي حديث الأشج بن عبدالقيس: "فقال له: إن فيك خلتين يحبهما الله الحلم والأناة" قال: يا رسول الله: أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: "بل الله جبلك عليهما" قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله. (صحيح سنن أبي داود).

- **أهم أنواع العبادات الفطرية:**

الدعاء وتقديم القرابين: إن الدعاء هو أعظم عبادة على الإطلاق، قال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} [الأحقاف: ٥-٦]، وقال تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: ١٣-١٤]، وقال صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة" بل إن أعظم عبادتين كان يقدمهما المشركون لمعبوداتهم هما:

الدعاء والقرابين: فكانوا يدعون عند الأنصاب التي نصبوها للملائكة أو الأنبياء والصالحين ويظنون أنها تستجيب لهم فيشكرونها على ذلك بتقديم القرابين والنذور وإقامة الأعياد السنوية لها. لذلك قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤)} [الأعراف].

وقال: {وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ} [يونس: ١٠٦].

- **ويكون الدعاء شركًا في أمرين:**

١- الدعاء بالغيب للملائكة والجن أو الإنس الأموات، حتى وإن كانوا أحياء عند ربهم فإنهم ماتوا عن الدنيا {وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ}.

٢- الدعاء فيما لا يقدر عليه إلا الله حتى لو كانوا أحياء (كطلب الشفاء أو غيره).

* ملحقات الدعاء:

١) التوسل المشروع:

ويكون بثلاثة أمور لا رابع لها وما عداها بدعة:

(أ) التوسل بأسماء الله وصفاته وكلماته.

(ب) بالعمل الصالح للعبد نفسه.

(ج) بدعاء الصالحين وله شروط ثلاثة:

١- أن يكون المتوسل به حيًّا موجودًا أمام المتوسل.

٢- أن يكون بدعائهم وليس بذواتهم.

٣- أن يكون المتوسل به من المستقيمين على الكتاب والسنة، فلا يجوز التوسل بجاهل أو مبتدع، لأن في ذلك تضليل وإقرار على البدعة بأنها كرامة.

التوسل غير المشروع ويكون بأسماء الخلق وصفاتهم وذواتهم، وهو شرك، قال صلى الله عليه وسلم: "من حلف بغير الله فقد أشرك" والتوسل بالأسماء والصفات نوع من الحلف، ولأن الحلف يكون (بالباء) مثل بالله أو بالتاء مثل (تالله) وأو بالواو مثل (والله) فمن قال بالله عليك لتفعلن كذا، فهو مشروع ومن قال (بحق النبي لتفعلن كذا) فهذا شرك أو (بجاه النبي لتفعلن كذا) فمن المعلوم أن كل قسم من المخلوق بمخلوق شرك، فما بالنا بمن يقسم على الخالق بأحد خلقه (فيقول يا رب بجاه النبي) أو (بحق النبي) لا شك أن هذا أشد شركًا. وكفارة ذلك إذا نسي أن يقول: (لا إله إلا الله).

٢) الشفاعة:

الشفاعة للبشر شفاعتان، شفاعة مثبتة وشفاعة منفية، فأما المثبتة فهي التي تكون يوم القيامة، حيث يأذن الله للنبيين والملائكة والصالحين، ثم لله أن يقبلها أو لا يقبلها بإرادته سبحانه وعلى حسب حال المشفوع له، فالله مالكها أولًا وأخيرًا، أما الشفاعة المنفية الشركية فهي التي تطلب في الدنيا بالغيب من الملائكة أو الأموات (وإن كانوا أحياء عند ربهم) قال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}.

٣) الاستعاذة:

- وهي في اللغة: هي الالتجاء والاعتصام.

والاستعاذة: هي دعاء الله بأسمائه وكلماته في دفع ضر متحقق أو منع ضر متوقع، قال الشاعر

يا من ألوذ به فيما أؤمله   وأعوذ به مما أحاذره

والاستعاذة نوع من أنواع العبادة إذ هي أعظم شقي الدعاء، وهما الدعاء طمعًا فيما عند الله من فضله ورحمته، أو دفعًا وحذرًا من شر المقادير فلا يجب أن نستعيذ بغير الله عز وجل، فهي من أعظم العبادات.

ومن الشرك في الاستعاذة: الاستعاذة بالجن قال تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: ٦].

قال ابن كثير: أي إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري كما كانت عادة العرب في جاهليتها، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم.

ويلحق بالاستعاذة الرقية وهي أخص من الدعاء من حيث أنها تصل إلى جسد المطبوب، باليد أو جنس شائع من تراب أو ماء أو هواء (النفث). لذا وجب ألا تكون الرقية إلا بدعاء الله بأسمائه وكلماته طلبا من الله وحده بلغة مفهومة ليس فيها طلاسم ولا ذكر إنس أو جن أو خلط حجر أو شجر، فكل ذلك من قبيل الشرك إلا ما كان من راقٍ يرقي أو موصل للرقية من جنس شائع من ماء أو هواء أو تراب.

ومن الشرك أيضًا: الذهاب إلى الكهان وهم من يخبرون عن الغيبيات ويأخذون ذلك عن الجن، وكذلك التطير وتعليق التمائم، والذهاب إلى المنجمين وتصديقهم، وتعليق المقادير بالنجوم والأبراج. ومن الكفر الاستهزاء بدين الله وأشده سب دين الله وكذلك الإعراض عن الدين وشرائعه بالكلية تعلمًا وعملًا.

* من مظاهر الشرك اليوم:

١- في الدعاء:

إذا كانت أعظم عبادة صرفها مشركو الجاهلية لشركائهم هي الدعاء، فإن بعض طوائف اليوم قد صرفوا جل دعائهم لأهل البيت ولما يسمونهم بالصالحين، بل إن شرك هؤلاء اليوم أشد من شرك مشركي قريش في دعاء غير الله، إذ أن مشركي الجاهلية الأولى كانوا يدعون غير الله تعالى في الرخاء فقط أما في الشدة فكانوا يخلصون الدعاء لله وحده قال تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} [العنكبوت: ٦٥].

وقال تعالى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [الإسراء: ٦٧].

أما مشركي هذا العصر فإنهم يخلصون الدعاء في الشدة لشركائهم، فيستغيثون بهم في البر والبحر، كما يحكى ذلك عن كثير منهم. وكما قال عالمهم على شاشات التلفاز عن البدوي " إنه هو السيد المهاب الذي إذا دعي في البر أو البحر أجاب".

٢) القرابين (الذبائح والنذور):

إن المشركين لما كانوا يظنون أن معبوداتهم من الملائكة والصالحين هم أولياء نعمتهم، فإذا دعوهم ظنوا أنهم هم الذين يستجيبوا لهم فكانوا يشكرونهم على ذلك بالذبح أو النّذور، ولكن النعمة من عند الله وحده لا تطلب بالدعاء إلا منه، ولا يشكر عليها بالذبح أو النذر إلا هو يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [العنكبوت: ١٧].

وقال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا} [الأنعام: ١٣٦] أي لم يكونوا يتقربون بها لله وحده بل جعلوا له فيها نصيب ولشركائهم النصيب الآخر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من آوى محدثًا ولعن الله من غير منار الأرض)[1] وفي صحيح مسلم (لعن الله من ذبح لغير الله)، وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرِّب له شيئًا فقالوا لأحدهما: قرِّب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذبابًا، فقرَّب ذبابًا فخلو سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرِّب، فقال: ما كنت لأقرِّب لأحد شيئًا دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة) رواه أحمد.

فإذا كان جل شرك المشركين الأول هو دعاؤهم ثم التقرب إليهم بالذبائح والنذور وهما أعظم عبادتان صرفوها لآلهتهم، فإن صوفية العصر قد فعلوا نفس الفعل في دعائهم للصالحين، ثم إتباع ذلك بذبح الذبائح أو تقديم النذور شكرانًا لهم، معتقدين أنهم هم الذين يستجيبوا لهم أو أنهم يتقربون بذلك إلى الله لأنهم شفعاؤهم عند الله، فهذا هو نفس فعل المشركين الأول، قال تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [الزمر: ٣] أي ما نقدم لهم العبادات من الدعاء والذبح والنذر إلا ليقربونا عند الله زلفى.

٣) أعياد الجاهلية:

إن مما كان يتقرب به المشركون الأول لآلهتهم أنهم كانوا يقيمون لهم الاحتفالات السنوية والتي تعاد في وقت معلوم، وهي ما تسمى بأعياد الجاهلية. والعيد مأخوذ من "العيادة" و"العود" و"العادة" وكلها ذات معاني متقاربة، بمعنى أنها احتفالات تعاد سنويًّا في ميعاد محدد.

وهذه الأعياد كانوا يقدمون فيها القرابين (الذبائح والنذور) لمعبوداتهم، كما أنها كانت ميدانًا خصبًا لارتكاب كل ما استحلوه في دينهم من ارتكاب الفواحش، من شرب للخمر أو لعب الميسر أو استسقام بالأزلام ومجال خصب للعب واللهو، وتحويل الذكر والصلاة إلى التصفيق والصفير كما حكى الله تعالى ذلك عنهم {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً} [سورة الأنفال: ٣٥] أي إلا تصفيرًا وتصفيقًا كما ذكر ابن كثير.

وإذا نظرت إلى الموالد التي يقيمها بعض طوائف اليوم لأوليائهم، وجدت أنها كأعياد الجاهلية أو أشد، فهي أعياد تقام احتفالًا لأسيادهم، وأنه يرتكب فيها كل ما كان يرتكب في أعياد الجاهلية الأولى، من ذبح للقرابين وتقديم للنذور وشرب الخمر ولعب للميسر والاستقسام بالأزلام على الطريقة العصرية، وتجد الزنا وتحويل عبادة الذكر إلى رقص ومزمار وتصفيق. وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه قال صلى الله عليه وسلم: (لا تتخذوا قبري عيدًا) وفي رواية: (صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا ولا

(١) صحيح، تحقيق الألباني، ٥١١٢ صحيح الجامع.

تتخذوا بيتي عيدًا وصلوا علي وسلموا فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم)[١]، وقال صلى الله عليه وسلم: (اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد)[٢].

٤) الحلول وعبادة المخلوقين:

لقد اشتد شرك بعض طوائف العصر ممن ينتسبون للإسلام عن شرك الجاهلية في أن مشركي قريش كانوا يعتقدون أن الله في السماء، وأن آلهتهم هذه مملوكة لله ولا تملك شيئًا، ولكنها تقربهم إلى الله زلفى. فكانوا يقولون في تلبيتهم في الحج (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك).

أما هؤلاء فيعتقدون أن الله ليس في السماء، بل هو حال في معبوداتهم، بل إن معبوداتهم (من المشايخ) هي نفس ذات الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، بل وصل الأمر ببعضهم أن قال الله حل في كل شيء، بل أن كل شيء هو نفس ذات الله نراه بأعيننا وتحسه أيدينا. كما قال ذلك شيخهم ابن عربي حينما قال:

العبد رب والرب عبد   يا ليت شعري من المكلف

وكما قال الحلاج الذي قتله الإمام حينذاك حينما قال "ما في الجبة إلا الله" سبحان الله عما يفترون.

٥) التحاكم إلى غير شرع الله:

قال تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [النور: ٥٤].

وقال تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور: ٥١].

وقال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} [الشورى: ١٠].

وقال تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٤٠].

وقال تعالى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [الروم: ٢٨].

إن الطاعة والانقياد هي أعظم دليل للعبودية، فلقد ضرب الله لنا مثلًا من أنفسنا نحن البشر، هل نرفع منزلة ما ملكت أيماننا من العبيد إلى منزلتنا فيشاوروننا فيما نأمرهم به، أو يعترضون علينا أو يشاركوننا في أموالنا، أم أنهم يسمعون ويطيعون مع كامل الذل والخضوع فهذا هو حال العبد من البشر لسادتهم من

---

(١) أخرجه السيوطي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٢) رواه مالك في الموطأ عن عطاء بن يسار.

البشر طاعة كاملة وانقياد كامل للأوامر فما بال حالنا نحن العبيد من البشر مع إلهنا وسيدنا وخالقنا ومحيينا ومميتنا.

سبحان الله كيف ندعي العبودية له ولا ننقاد لأوامره التي أرسلها لنا في كتابه أو على لسان عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهو المبلغ عن ربه، فإنما العبودية في الائتمار، فمن لم يأتمر بأوامر الله التي أمرنا بها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فقد خرج عن العبودية لله بمقدار خروجه عن الأوامر الربانية، ومن خرج عن الأوامر بالكلية فقد خرج من العبودية بالكلية، وقد خرج من الدين بالكلية، قال تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ} [هود: ١١٢].

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: ٣٠].

أي الذين استقاموا على أوامر الله.

والحكم كله لله {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} فهو الملك العلام رب كل شيء ومليكه، وهو القاهر فوق عباده وكل ما سواه عبيد له، مقهورون تحت حكمه، فلذا يجب ألا يعبد إلا إياه بالتحاكم إليه وحده، ثم الانقياد لحكمه وحكم نبيه صلى الله عليه وسلم، فهو المبلغ عن ربه تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}.

* فيجب أن نمتثل لأوامر الله في كل أحكامه من:

١) أحكام الإيمان.

٢) أحكام العبادات.

٣) أحكام التشريعات في شتى نواحي الحياة من تحليل وتحريم ومعاملات وحدود وقضاء.

لأننا وكل ما نملكه من نعم هو من عند الله وحده مملوك له، لذا يجب أن نتبع أمره فيه {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

ولقد كان من شرك المشركين أنهم جعلوا لهم شركاء في التشريع فتابعوهم على تحليل الحرام وتحريم الحلال وترك شرائع الدين والابتداع فيه قال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ}، وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ} [الأنعام: ١٣٧] أي أن شركاءهم زينوا لهم أن يقتلوا أولادهم. وقال تعالى: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام: ١٢١]، وعن عدي بن حاتم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة: ٣١]، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: "أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه" فقلت: بلى قال: "فتلك عبادتهم" رواه أحمد والترمذي وحسنه.

وقد قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ٦٠]، والطاغوت هو كل ما عبد من دون الله كما قال الإمام ابن القيم. قال الإمام ابن القيم: (الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدون من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الطاغوت، وعن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم إلى طاعة الطاغوت ومتابعته... انتهى.

ولقد قال الله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦]، أي أن من أطاع غير الله في معصية الله فقد اتخذه طاغوتًا وعبده من دون الله.

- **وهذه الآيات تخاطب عامة المكلفين:**

١- العلماء: بأن يحكموا بما أنزل الله، ويبينونه للناس ولا يكتمونه خشية أحد {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤].

٢- الأمراء: وهو أن يحكموا بما أنزل الله، وأن يتحروا اختيار العلماء الربانيين الذين يبينون لهم الحق الذي يجب أن يحكموا به، ولا يعرضوا عن شريعة الله التي أنزلها لتحكم بين عباده، ولا يكونوا كالذين قال الله فيهم {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا}.

٣- عامة العباد: بأن يتحاكموا إلى شرع الله تعالى، ولا يتحاكموا إلى غيره وألا يطيعوا علماءهم وأمراءهم في معصية الله، وإلا فقد عبدوهم وجعلوهم طواغيت، قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} بأن تابعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال وقال تعالى: {وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} وقال: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} أي إلى غير شرع الله.

فكيف بعد ذلك نترك شرع الله ونتحاكم إلى شرائع الكفار، من القانون الفرنسي وغيره، فهذا من أعظم الكفر والجحود بالله وشرعه.

شروط لا إله إلا الله

قال الحكمي رحمه الله:

وبشروط سبعة قد قيدت   وفي نصوص الوحي حقا وردت
العلم واليقين والقبول   والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة   وفقك الله لما أحبه

* أولًا: العلم: (المنافي للجهل):

وقد سبق بيانه بفضل الله في معنى لا إله إلا الله.

* ثانيًا: اليقين (المنافي للشك):

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: (يا أبا هريرة وأعطاني نعليه قال: اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة)[1].

* ثالثًا: الرضا والقبول لها ولما جاءت به:

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: (من قال رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا وجبت له الجنة)[2].

* رابعًا: الانقياد:

قال تعالى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [الروم: ٢٨].

إن الطاعة والانقياد هي أعظم دليل للعبودية، فلقد ضرب الله لنا مثلًا من أنفسنا نحن البشر؛ هل نرفع منزلة ما ملكت أيماننا من العبيد إلى منزلتنا فيشاوروننا فيما نأمرهم به، أو يعترضون علينا أو يشاركوننا في أموالنا، أم أنهم يسمعون ويطيعون مع كامل الذل والخضوع فهذا هو حال العبد من البشر لسادتهم من البشر طاعة كاملة وانقياد كامل للأوامر فما بال حالنا نحن العبيد من البشر مع إلهنا وسيدنا وخالقنا ومحيينا ومميتنا.

* خامسًا: الصدق:

عن أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال: (يا معاذ بن جبل قال: لبيك يا رسول الله وسعديك قال: يا معاذ قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثًا قال: ما من أحد يشهد

---

(١) مسلم.

(٢) تحقيق الألباني: صحيح سنن أبي داود والجامع.

أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا قال: إذًا يتكلوا وأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا)[١].

* سادسًا: الإخلاص:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه)[٢].

* سابعًا: المحبة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)[٣].

فإذا أيقن العبد على تفرد الله بصفات الجلال والكمال لله، اطمئن القلب بذكر الله وانقادت بذلك الجوارح فخضعت لربها وذلت، فإن القلب قائد الجوارح، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) رواه الشيخان.

فلم يرجو أو يأبه بما سواه، فكيف حال من يطلب ممن لا يستجيب له {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ} ويخاف ممن لا قوة له {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

ويرجو من لا خير فيه ويرغب فيمن ليس عنده شيء {وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ}.

ويحب من لا محاسن له {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}.

ويستنصر على عدوه بمن لا سلاح له {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ}.

ويستهدي بمن لا هدى له {قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}.

تلك كلمة التوحيد التي بالصدق والإخلاص فيها تنال الدرجات، وتغفر الزلات، وتزال العقبات وتفرج الكربات، وتفتح الفتوحات، نسأل الله تعالى أن تكون كلمة التوحيد آخر كلامنا من الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(٤).

---

[١] (البخاري ومسلم).

[٢] البخاري.

[٣] البخاري.

(٤) تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٧٤٩ في صحيح الجامع.

عقيدة ومنهج أهل السنة إجمالًا مما كان عليه السلف الصالح

أما بعد،

فهذه عدة أصول من عقيدة ومنهج أهل السنة إجمالًا مما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، وهي عقيدة الفرقة الناجية في عصرنا هذا وفي كل عصر.

أولًا: أن الله وحده هو الموصوف بالصفات الإلهية العلية من العلو والتقديس والكمال فهو {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } الحي الذي لا ابتداء لحياته ولا انتهاء فهو الأول الذي لا شيء قبله، وهو الآخر الذي لا شيء بعده، وهو الذي أحيا كل ذي حياة، فكل حي دونه مفتقر إلى إحيائه، يبدؤه كيفما شاء ووقتما شاء، ويتوفاه إليه كيفما يشاء ووقتما شاء، فالكل يحيا ويموت وهو وحده الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا قوامة للسماوات والأرض ومن فيهن إلا بمشيئته وقوته وقدرته، ما شاء الله لا قوة إلا بالله وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، العلي: علو فوقية، فهو سبحانه مستوٍ فوق عرشه، قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } [طه: ٥]، وقال تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ } [الملك: ١٦]. وعلو قدر، فلا تبلغه العقول والأفهام ولا تدركه الأبصار ولا تحيط به الظنون والأوهام، وكل ما خطر ببالك فالله فوق ذلك، فتعالى الله علوًا كبيرًا، العظيم في كل صفاته فلا يقدر قدره إلا هو فلا انتهاء لعظمته. وهو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الذي أحاط بكل شيء علما وسمعا وبصرا، فهو عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

وهو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وهو الملك حقًّا فالكل مقهور له مملوك بقبضته ذو البطش الشديد لكل من استكبر وعاند وخالف أمره في سلطان وهو الغفور الودود لكل من تاب وآمن وتواضع لعظيم كبريائه، فعال لما يريد، ولا يكون في سلطانه وملكه – ولا ملك سوى ملكه – إلا ما يريد، القدوس الذي تنزه عن كل نقص وعن الصاحبة والولد والشريك، فليس هناك ذات تشبه ذاته، ولا تبلغ صفات المخلوقين إلى صفاته، فصفات المخلوقين محدودة زمانا ومكانا ومعلومة كيفية، أما صفاته تعالى فلا تعلم لها كيفية، وليس لها نهاية زمانية ولا في السعة والإحاطة المكانية، فهو الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير نؤمن بصفات الله التي وصف بها نفسه في كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا نشرك به فيها أحد، ولا نشبهه بأحد من خلقه، لا نكفر بأي منها، بل نؤمن بها كلها دون تشبيه أو تمثيل أو تعطيل أو تحريف أو تأويل.

ثانيًا: أن الله كما أنه هو وحده المتصف بصفات الإلهية والعلو والكمال والتقديس فهو وحده المستحق لجميع أنواع العبادة لا يشاركه في ذلك أحد، فلا ندعو غير الله، ولا نذبح ولا ننذر لغير الله، ولا نشرك بالله بتعظيم ذوات المخلوقين وآثارهم من قبور وصور وتماثيل، بعكوف أو طواف أو توسل، أو تبرك بحجر أو شجر أو مقصورات، أو تعلق بتميمة أو حجاب، أو استعانة بجن أو بسحر، أو تحاكم إلى غير شرع الله فكل ذلك شرك بالله ومن أخص أمور الجاهلية.

ثالثًا: أن كل ما سبق هو مقتضى شهادة ألا إله إلا الله، وأما مقتضى شهادة أن محمد رسول الله فمنه:

١- اتباع النبي صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته. قال تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النور: ٥٦]، قال: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٣٦].

٢- أنهم لا يقدمون قولًا على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات: ١].

٣- أنهم لا يردون شيئًا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣].

عن أبي مسلم، وقيل: أبي إياس سلمة بن عمر بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلًا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال: كل بيمينك قال: لا أستطيع. قال: لا استطعت! ما منعه إلا الكبر، فما رفعها إلى فيه»[١].

رابعًا: أن أركان الإسلام خمسة وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا، ولا يدخل المرء الإسلام إلا بالشهادتين، ومن ترك إحدى الأربع الباقية جحودًا كفر إجماعًا، وأن إخوة الدين وقيام الدولة الإسلامية على ثلاث منها، قال تعالى: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [التوبة: ١١].

* عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[٢].

* وعن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق»[٣].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم في باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

(٣) رواه مسلم في باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

خامسًا: أنهم يؤمنون بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر جملة وتفصيلًا فيؤمنون بعذاب القبر ونعيمه وبالبعث والنشور والحساب والموازين والصحف والصراط والجنة والنار ويؤمنون بالقدر خيره وشره كل من عند الله وأن العبد خلق بقدر الله مختارًا وأن مقادير العباد على أربعة مراتب:

(١) العلم: أن الله علم ما كان وما يكون وما سوف يكون.

(٢) الكتاب: أن الله قد كتب كل شيء عنده قبل خلق السموات والأرض.

(٣) المشيئة: أن كل شيء بمشيئة الله وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

(٤) الخلق: أن الله خلق كل شيء وأوجده وما يؤول إليه على حسب مراده، قال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: ٩٦].

سادسًا: أن الإيمان تصديق بالجنان وقول باللسان وتطبيق بالجوارح للأركان وأنه كما قال الإمام الطحاوي رحمه الله: قول وعمل يزيد وينقص.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [الكهف: ١٠٧]، وقال تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون: ٤- ٥]، وقال تعالى: {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } [المدثر].

سابعًا: أنهم لا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله وأن أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار، وأنهم إن شاء الله عذبهم وإن شاء عفا عنهم بخالص توحيدهم.

ثامنًا: أن الدين أركان وفرائض وسنن وحدود وشرائع يؤمنون بذلك كله ولا يردون منه شيئًا كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا وسننًا فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها) يؤمنون بذلك كله ولا يردون شيئًا منه ويأتون منه ما استطاعوا، ويضعون كل تشريع في موضعه الذي وضعه الله فيه، فلا ينزلون الفرائض منزلة الأركان، ولا فرائض الكفاية منزلة فرائض العين، ولا السنن منزلة الفرائض، والمكروهات منزلة الكبائر، فيأصلون أصولًا لم يأت بها الشرع الحكيم، فكل تشريع له مكانته وحكمه، فليس لأحد أن يغير في شرع الله شيئًا مهما اختلفت الأمكنة والأزمان.

تاسعًا: أن الدين اكتمل قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم فليس لأحد أن يزيد فيه أو ينقص، وأن كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[1].

عاشرًا: أن العلم بالكتاب والسنة واجب قبل العمل، وأنه سبيل النجاة، وخصوصًا العلم العيني الذي يجب أن يتعلمه كل مسلم، وأن ضد العلم الجهل، ومنه جاءت الجاهلية.

---

(١) صحيح البخاري رقم ٢٥٥٠.

الحادي عشر: الإسلام جاء بمحاسن الأخلاق ومعالي الأمور النبيلة، من البر والصلة وتزكية النفس وتربيتها على الفضائل، وأنه ليس لأحد أن يبتدع مناهج للتربية غير التي جاء بها الإسلام وسنها لنا النبي صلى الله عليه وسلم، وفي قصة الثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم خير دليل.

الثاني عشر: أن الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة من الكتاب والسنة واجبة على عموم الأمة (أي فرض كفاية)، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة واجب على كل فرد بقدر استطاعته.

الثالث عشر: أن الجهاد ضد أعداء الله الكافرين ماض حتى تقوم الساعة مع كل بر وفاجر وأن جهاد الطلب والدعوة فرض كفاية تأثم الأمة بتركه، وأن جهاد الدفع والذي يتعين عند نزول جيش الكفار ببلاد المسلمين فرض عين على كل مسلم، وأنه لا بد من الأخذ بأسباب القوة، واليقين بأن الله أعد الجنة للشهداء، وكذلك اليقين على نصر الله للمؤمنين.

الرابع عشر: أن الحكم لله شرعًا وقدرًا فهو الملك في سماواته وفي أرضه، والكل مملوك له، فيجب أن يفرد وحده بالحكم فلا نتحاكم إلا إلى شرع الله الملك العلام قال تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٤٠].

الخامس عشر: وجوب التزام الجماعة وعدم التفرقة وشق عصا المسلمين مما يضعف شوكتهم أمام أعدائهم ويقطع أواصرهم وينشر الفساد وعدم الأمن في بلاد المسلمين، فلا بد أن يكون هناك وحدة على الاعتقاد السليم، والعمل الصحيح، والبناء الاجتماعي القوي المتماسك البنيان.

السادس عشر: إكرام منزلة الصحابة وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم فلا ننتقص من مكانة أحدهم فمن سب أحدا منهم فقد كفر، ولا نغالي في التشيع لبعضهم دون البعض، ولا نصرف لهم العبادة من دون الله من دعاء أو ذبح أو نذر أو توسل وعكوف عند قبورهم، فالمحبة لله ولرسوله ولصحابته ولأهل بيته، والعبادة لله وحده وكذلك إكرام منزلة أهل العلم ورثة الأنبياء وعدم التطاول عليهم والاستهانة بهم.

السابع عشر: أنهم لا يشهدون لأحد بعينه أنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار، أو أنه ولي لله، إلا ما شهد به القرآن أو النبي صلى الله عليه وسلم حال حياته، ولا يزكون أحدًا بعينه بل يقولون نحسبه كذا وكذا، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدًا.

الثامن عشر: ويؤمنون بأمارات الساعة من خروج للدابة والدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام تابعًا للنبي صلى الله عليه وسلم حاكمًا بشريعة الإسلام، إلى غير ذلك من العلامات.

التاسع عشر: أن كل الرسالات السابقة منسوخة وخصوصًا التوراة والإنجيل فلا يجوز العمل بها لأربعة أمور:

(١) النسخ: وهو أن الله قد استبدلها بشريعة الإسلام.

(٢) التحريف: فلا يجوز شرعًا وعقلًا العمل بشرع محرف مشكوك في صحته.

(٣) الكفر بالله: إذ كيف نتبع شريعة وضع فيها الكفر، فقال اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله.

(٤) الكفر برسول الله صلى الله عليه وسلم: إذ أنهم حذفوا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الرسلات وكفروا بنبوته صلى الله عليه وسلم.

العشرون: أن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ورسول الله إلى الناس أجمعين قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } [سبأ: ٢٨]، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [الأعراف: ١٥٨].

* عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[1].

الحادي والعشرون: إن الإسلام هو الرسالة الخاتمة وأنه من يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وأنه دين الأنبياء من قبل قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)} [آل عمران: ٨٥].

قال إبراهيم: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة: ١٢٨]، وقال يوسف: {فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ }.

---

(١) رواه مسلم.

الأصل الثاني: الاعتصام بالكتاب والسنة

وهذا هو توحيد منهج التلقي قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا} [الزمر: ٢٩]، فأمة تستمد عبوديتها لله من أوامره وحده، خير من أمة جعلت عبوديتها لشركاء متشاكسون من البشر، إما أحبار (علماء) أو رهبان (مشايخ) أو أمراء، فتفرقت وتنازعت، وأصبحت هباءً، ففلاح الأمة هو بالرجوع إلى وحي الله المنزل من السماء -(كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم)- وليس إلى كلام البشر، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩].

فالتشريع في الدين لا يكون إلا لله مما أوحاه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن أو السنة، وهذا هو المصدر الوحيد للشرع، وليس لأحد من البشر بعد ذلك قول، ومن ظن غير ذلك فقد أجاز الشرك في التشريع قال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ}.

وإنما مهمة العالم في ثلاثة أمور:

أولًا: الدعوة إلى الله على هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: الاجتهاد في استخراج الدليل الموافق للمسألة من الكتاب والسنة الصحيحة.

ثالثًا: تبيين المفهوم اللغوي الصحيح للدليل بما يوافق فهم السلف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم والذين نزل فيهم القرآن وبلغتهم وزكاهم النبي صلى الله عليه وسلم.

* وليس معنى ذلك الانتقاص من شأن العلماء، فهم ورثة الأنبياء وشموس الأمة التي تهدى بهم في حوالك المحن، فتوقيرهم من توقير النبي صلى الله عليه وسلم، والتعدي عليهم تعدي على دين الله تعالى ومغضبة لله رب العالمين، وذلك للوقافين منهم عند قول الله وقول النبي صلى الله عليه وسلم، وليس لأشباه العلماء المتجرئين على قول النبي صلى الله عليه وسلم المستهزئين بسنته.

وقد أوجب جميع الأئمة السابقين ترك قولهم إذا خالف قول النبي صلى الله عليه وسلم.

عن ابن عباس رضي الله عنه: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر». وقال: ليس منا إلا يؤخذ من قوله ويدع غير النبي صلى الله عليه وسلم، رواه أحمد عن عكرمة عن ابن عباس.

* وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: من يعذرني من معاوية؟ أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «ويخبرني عن رأيه لا أساكنك بأرض أنت بها» رواه البيهقي.

* قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: اتركوا قولي لكتاب الله، وقال: اتركوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتركوا قولي لقول الصحابة.

* قال الإمام مالك رحمه الله: ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم.

* وقال الإمام أحمد رحمه الله: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أتدري الفتنة؟ الفتنة الشرك.

* عن ابن خزيمة أنه قال: ليس لأحد قول مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صح الخبر.

* عن مجاهد قال: ليس أحد إلا يأخذ من قوله ويترك من قوله إلا النبي صلى الله عليه وسلم.

* وقال الشافعي رحمه الله: (أجمع العلماء على أن من استبانت له السنة لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس) انتهى. ولقد كانت السنة مجتمعة بوجود النبي صلى الله عليه وسلم، فلما توفي صلى الله عليه وسلم، تجزأت السنة في صدور الصحابة رضي الله عنهم، وما جمع أحد منهم جميع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كانت مجتمعة فيهم جميعًا، فكان كل منهم يجتهد في عدم وجود النص (الحديث)، ثم بدأ علماء الأمة في جمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا جميعًا يفتون بعدم الاجتهاد مع وجود النص، أما نحن الآن ومع توفر أجهزة العلم الحديثة، وتم جمع كل جهد علماء الحديث السابقين شموس الأمة عن طريق العلماء البررة المتأخرين، فإن سنة النبي صلى الله عليه وسلم الآن تكاد تكون مجتمعة، وما نبحث في أي باب من أبواب الفقه إلا وجدنا أكثر من حديث صحيح في المسألة الواحدة أو الباب الواحد من أبواب الفقه فيكاد يكون الاجتهاد (والذي يقصد به عند عدم وجود النص) يكاد يكون ممنوعا، بل إن الاجتهاد فقط يكون في استخراج الدليل، لأن الذي يفتي إنما يتكلم عن دين الله الذي هو مما اختصه رب العالمين لنفسه، فكيف ينصب نفسه مشرعا وشريكا لله تعالى في إلهيته وربوبيته، وقد توقف أفضل الخلق في أهون مما ينصبون أنفسهم له.

* قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: (وعلى هذا ترجم البخاري رحمه الله تعالى باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول لا أدري أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي ولم يقل برأي ولا بقياس لقوله تعالى بما أراك الله الآية وترجم رحمه الله تعالى باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس ولا تقف ما ليس لك به علم الإسراء ثم ذكر فيه حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله تعالى لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعًا ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس يستفتون برأيهم فيضلون ويضلون»[1].

وحديث سهل بن حنيف قال: يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم لقد رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته الخبر وفي خطبه صلى الله عليه وسلم ما لا يحصى أن يقول أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة. اهـ.

---

(1) رواه البخاري.

الأصل الثالث: التوحد والتآخي وعدم التفرق

لقد أعظم الله تلك الأمة باجتماعها على القيام بأمر الله، قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } [آل عمران: ١١٠]، وفي الحديث العظيم الذي حدث به صلى الله عليه وسلم عن يحيى بن زكريا عليهما السلام، وما أمره الله به من أن يأمر بني إسرائيل بأركان الشريعة الخمسة (التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والذكر) عقب النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال: «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثاء جهنم فقال رجل يا رسول الله وإن صلى وصام فقال وإن صلى وصام فادعوا الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله»[١] وهنا دعوة إلى التزام عموم جماعة المسلمين وعدم تعصب عصبية الجاهلية، فهذا يقول أنا الشامي وذاك يقول أنا اليمني وآخر يقول أنا المصري، أو يقول إنني جماعة كذا، والآخر يقول بل جماعة كذا، وهذه دعوى الجاهلية بعينها، بل يقول كما أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، «أنا مسلم، نحن المؤمنون، أنا عبد الله»، حينئذ ينطق الحجر والشجر ويقول: «يا مسلم، يا عبد الله» إن ورائي يهودي فتعالى فاقتله.

وفي صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه حينما كسع المهاجري الأنصاري قال: «وقال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟

ثم قال: ما شأنكم فأخبروه بكسعة المهاجري للأنصاري قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوها فإنها منتنة».

فكيف يرتضي الله تبارك وتعالى لنا هذا الاسم (الإسلام) وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم، ويغلظ النبي صلى الله عليه وسلم في التداعي إلى غير الإسلام، ثم نخالف ذلك ونذهب إلى قول البشر متحججين بأنهم أهل علم ولا علم لنا، حتى أصبحت الفرقة والاختلاف والتسمي بغير الإسلام هو الصحيح، والانتساب إلى الإسلام لا يتناسب مع الواقع فسبحان الله.

ففي هذه الأحاديث بالغ النبي صلى الله عليه وسلم في التشديد على عدم التداعي إلى غير المسميات التي تشمل جميع الأمة دون تفرق، أنا مسلم، أنا مؤمن، أنا عبد الله تعالى، فكلنا يجب علينا أن نكون مسلمين مؤمنين عباد الله تعالى. حذر من التداعي إلى غير ذلك حتى لو كانت لاسمين مشروعين وهما المهاجرون والأنصار، وهما اسمان لقومين، قوم هاجروا في سبيل الله، وقوم نصروا دين الله، وليسا اسمين لتنظيمين لكل منهجه ومساجده ودعاته وأئمته، وهذا عين ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤول الاختلاف إلى التفرق في الدين.

---

(١) صححه الحاكم ووافقه الذهبي والترمذي والنسائي والألباني في الجامع.

وإن من أعظم المصائب في الدين هو أن يتفرق المسلمون إلى أحزاب وطوائف لكل منها منهجه وأصوله التي وضعها لهم شيوخهم ومؤسسوهم، وجعلوا من هذه الأصول منهاجا للعمل لدين الله، يؤمنون بها وكأنها بعينها نزلت من السماء فلا يحيدون عنها ويوالون ويعادون عليها، وأصبح أصحاب كل طائفة يرون أن كل من آمن بأصولهم وعمل بها فهو منهم، ومن ليس كذلك فليس منهم، وأصبحوا يتعصبون للأشخاص أصحاب تلك الأصول وكأنهم أنبياء معصومون، ويأخذون كلامهم مأخذ التشريع، فتفرقت الأمة إلى أحزاب وطوائف، وتفرق الدين إلى مناهج وأصول ما أنزل الله بها من سلطان. فأركان الدين وأصوله وقواعده التي وضعها لنا الحق تبارك وتعالى معروفة مبينة في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. فليس لنا أن نأتي بأمور قد تكون من الدين ومن واجباته ولكنها ليست من أصوله وقواعده وأركانه فنجعل منها أصولا وأركانا يكون عليها الولاء والبراء، وهذا ما يلتبس على الكثير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى: «فلا يجوز لأحد أن يجعل الأصل في الدين لشخص إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لقول إلا لكتاب الله عز وجل، ومن نصب شخصًا كائنًا من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا. وقال: «وليس لأحد أن يدعو إلى مقالة أو يعتقدها لكونها قول أصحابه ولا يناجز عليها، بل لأجل أنها مما أمر الله به ورسوله لكون ذلك طاعة لله ورسوله». انتهى.

فما أحرانا نحن المسلمون أن نجتمع اليوم على كلمة سواء بيننا، وهي وحي الله المنزل من السماء، لا إلى قومية ولا إلى حزبية ولا إلى عصبية ولا إلى شخصية ولا إلى جماعة، بل كما أمر ربنا تبارك وتعالى، كونوا ربانيين، كونوا مسلمين، كونوا مؤمنين كونوا عباد الله إخوانًا. وما أحسن ما سمعته من الشيخ محمد حسان حفظه الله محدثًا عن الإمام ابن القيم رحمه الله «إذا سألوك عن جماعتك فقل هو سماكم المسلمين من قبل، وإذا سألوك عن شيخك فقل شيخي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا سألوك عن منهجك فقل الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة».

* من هو المسلم:

لا بد يا أخي المسلم الحبيب أن تعلم من هو أخوك المسلم الذي يجب أن تواليه، وهذه من أمور العقيدة التي يجب أن نتبع فيها أمر الله، وليس الهوى وأقوال البشر، فإن الله تعالى لم يترك لأحد من البشر تقرير تلك الحقيقة، قال تعالى: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [التوبة: ١١].

قال المفسرون من السلف: تابوا عن الشرك ورجعوا إلى التوحيد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته»[1]. أي فله عهد الله بالأمان فلا تنقضوا عهد الله. وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أمرت أن

---

(1) البخاري.

أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس.[٢]

فهذه هي القاعدة الربانية في الأصول التي يجب أن يكون عليها أخوة الإسلام وأن تتوحد عليها الأمة:

١ – التوحيد، والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو مقتضى شهادة «لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».

٢ – إقام الصلاة.

٣ – إيتاء الزكاة.

* أخوة المسلم وحرمته:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانًا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. التقوى ها هنا». ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[٣].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته وما من أحد ينصر مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته"[٤].

ولتعلم أخي الحبيب أن أعظم عرض للمؤمن هو دينه ثم يليه شرفه، والاتهام في الدين كالقتل فبالاتهام في الدين تستحل الأعراض أولا باستحلال الكلام في عرض المسلم بتلك الدعاوى التي يلبس بها الشيطان ألا وهي الجرح والتعديل وفضح صاحب البدعة، فكل من هوى في الوقوع في عرض أخيه المسلم ممن ينتسب للعلم أو العمل للإسلام –وللأسف– سعى بإلحاقه إلى البدعة لكي يستحل ما يقوله فيه، وإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم ما يزال الشيطان يستدرجه حتى يستحل ماله ودمه.

---

(١) صحيح البخاري رقم ٢٥.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) مسلم.

(٤) تحقيق الألباني (حسن) انظر حديث رقم: ٥٦٩٠ في صحيح الجامع تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٨٠١٣ في صحيح الجامع.

* حفظ دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم من يد الإنسان ولسانه هي سبيل النجاة في الفتن:

** لا بد أن تكون تربية المسلمين عامة، والنشء خاصة في بداية طريقهم وسلوكهم السبيل القويم إلى الله تعالى، على إخلاص العبادة لله وعدم الشرك، وعلى التقوى والورع والبراء من غير أهل الملة، ومحاسن الأخلاق والبر والصلة، وصيانة أعراض المسلمين أهل الملة، والرغبة والاشتياق إلى الجنة، والخوف والفرار من النار. فبذلك تكون النجاة، وخصوصًا عند كثرة الفتن.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي. ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه. فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»[١].

وعن أبي سعيد قال: قال رجل: أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال: «مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله». قال: ثم من قال: «ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره»[٢].

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[٣].

* أما إذا لم ينشأ النشء على التربية الحسنة والأدب مع الله ورسوله والمسلمين، من مراقبة الله والتقوى والورع وحسن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وتعظيم حرمة المسلمين عامة وأهل العلم والفضل منهم خاصة، بل ينشأ على الخلاف والشقاق، فحينئذ يقسو القلب، ويغلب الهوى، ويندر الأدب، وتعلو الغشاوة على الأبصار، فلا يُفرق بين الأصول وغيرها، ولا بين الصالح والطالح، فتنتهك حرمة العالم دون الجاهل، والقابض على دين الله دون المفرط لدين الله. وليس هناك حرمة لأخوة، أو التزام بمروءة. فلأدنى اختلاف يكون الخصام وتصدر الأحكام، ولأدنى ظن ينطلق عنان اللسان بالبهتان. وما هذا بالخلق الذي يرضاه ربنا ومن أجله أنزل الكتاب بالحق والميزان.

حرمة أهل العلم والفضل في الدين وخطورة التعدي عليهم

* إن من أعظم أسباب التفرق وأصله بغي الأفراد بعضهم على بعض، والرمي بالبدعة والفسوق لمجرد المخالفة في الرأي دون هدى من الله، وإنما أصل بغي الفئات بغي الأفراد، وخصوصًا البغي على أهل العلم والفضل في الدين، فهم مظنة ولاية الله؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قال من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»[٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) قال الشيخ الألباني: صحيح (الأدب المفرد للبخاري).

(٤) رواه البخاري.

* وهم أهل المعرفة الحقة بالله:

قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨].

* أهل العلم هم أهل حفظ الدين:

قال تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٩].

* وهم أهل اليقين:

{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سبأ: ٦].

* أهل العلم هم أهل خشية الله:

قال تعالى: {قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إذا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} [الإسراء: ١٠٧]، قال تعالى: {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الحج: ٥٤].

* وهم أهل النصيحة للعباد:

قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ} [القصص: ٨٠].

* حتى أنهم في الآخرة هم أهل الإرشاد:

قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الروم: ٥٦].

وقال تعالى: {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ} وهم أهل الرفعة في الدرجات: قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: ١١].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"(١).

* إن أهل العلم والفضل في الدين، هم رأس الأمة وعماد فلاحها، والنيل منهم نيل من الدين ومن الأمة، لذلك كانت دماؤهم وأعراضهم محلًا لسهام أعداء الله من الكافرين والمنافقين والحاسدين على مر العصور، فبهدمهم يكون هدم الدين، فبدؤوا بخيرة الخلق من الأنبياء فسفكوا دماءهم أو حاولوا ذلك، ونالوا من أعراضهم، وكان أشد أذاهم في ذلك لخير البشر محمد صلى الله عليه وسلم، فقد حاول الكافرون ثم المنافقون قتله، ولما لم يفلحوا، اتهموه في عرضه صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق أبي بكر رضي الله

---

(١) رواه البخاري.

عنه، وقتلوا عمر رضي الله عنه، وكل ذلك في كلمة واحدة يقذفها الشيطان على ألسنة أوليائه من شياطين الإنس فتتلقفها ألسنة أهل الخفة من أمة النبي صلى الله عليه وسلم، فيستطير شرها وشررها.

فهذا عبد الله بن أبي بن سلول، يتكلم بالإفك في عرض النبي صلى الله عليه وسلم، وتتلقفه ألسنة بعض الصحابة، ويشيعون الأمر، ويتزلزل المجتمع المؤمن شهرًا كاملًا، وتنكشف الغمة بنزول الوحي في وجود الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا عبد الله بن سبأ اليهودي المنافق، يقذف بكلمة الفتنة والقذف في عثمان رضي الله عنه، فتتلقفها ألسنة أهل الرعونة الثوريين، ويخرجون على عثمان رضي الله عنه، ثم يقتلونه ويفتح باب أعظم فتنة في تاريخ الإسلام فلا يسد بعدها، ثم يخرجون على علي رضي الله عنه، بدعوى إن الحكم إلا الله، ويكفرون الصحابة رضي الله عنهم. ثم يقتلون الحسن ثم الحسين ابنا علي رضي الله عنه، وسبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنهما، ثم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، حسدا وحقدا، وهدما للأمة. وذلك كله بدايته كلمة!!!

تتلقاها ألسنة بعض من استخفهم الشيطان من أمة النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور: ١٥ – ١٧]

فهلا استبصرنا أخي الحبيب خطر تلك الفتنة العمياء!!

ولنعلم أن التعدي على الحدود بين المسلمين عامة وعلى أهل العلم والفضل في الدين خاصة هو من عمل الشيطان وأعداء الله من الكافرين والمنافقين، وسنة ماضية فيهم، فلنحذر أن نكون منهم أو نكون سلاحًا بأيديهم يضربوا به أمة الإسلام دون أن ندري.

فلا بد من تقديم حسن الظن بالمسلمين عامة وبالعلماء خاصة، بل لا بد أن يكون حسن الظن بهم مقدم على حسن الظن بالنفس، ولا بد أن يلتمس لهم العذر إذا أخطئوا. يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله:

فيجب على المسلمين – بعد موالاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم – موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن.

خصوصا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

إذ كل أمة – قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم – فعلماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول في أمته والمحيون لما مات من سنته بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا.

وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولًا عامًا يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته، دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقًا يقينيًا على وجوب اتباع الرسول وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه.[١] اهـ.

وهذا في العلماء الذين عرف تحريهم الاتباع ولا يعلم عنهم رد الدليل والمعاداة لمنهج السلف رضي الله عنهم، فكل من انتحل منهج أهل الآراء والأهواء الفاسدة علم عنه معاداته لمنهج السلف وأهله.

وقد يخطئ العالم لالتباس في الفهم، أو لعدم بلوغه البينة في المسألة.

فإذا أحسن عرض المسألة عليه رجع فيها إلى الصواب وكان فيها سيفًا للحق.

* ولنا أعظم القدوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم في التواضع والاعتراف بالخطأ البشرى الفطري:

فعن عبد الله (بن مسعود) عن النبي صلى الله عليه وسلم «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين»[٢].

عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم «إنما أنا بشر إذا أمرتك بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر»[٣].

عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم «إنما أنا بشر أضيق بما يضيق به البشر فأي المؤمنين بدرت إليه مني بادرة فاجعلها له كفارة»[٤].

* وهذا الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله، وقد كان يسعى لتهوين مسائل الخلاف بين السنة والشيعة، ويلقي باللوم على من يفسقهم (وهذا أمر عظيم، ومسألة عقدية خطيرة)، فقابل هجومًا شديدًا، وما أكثر من يتلقى هذا الأمر بين نكير ونكيل، ولكن الموفق من أوتى الحكمة.

يقول الشيخ: فإني كنت –والحق يقال– لا أعرف عن شيعة آل البيت إلا أنهم جماعة من المسلمين يغالون في حب آل البيت. وأنهم يخالفون أهل السنة في بعض الفروع الشرعية بتأويلات قريبة أو بعيدة، ولذلك كنت أمتعض كثيرًا بل أتألم لتفسيق بعض الإخوان لهم، ورميهم أحيانًا بما يخرجهم من دائرة الإسلام، غير أن الأمر لم يدم طويلًا حتى أشار عليَّ أحد الإخوان بالنظر في كتاب لهذه الجماعة لاستخلاص الحكم الصحيح عليها، ووقع الاختيار على كتاب (الكافي) وهو عمدة كتب القوم في إثبات مذهبهم، وطالعته، وخرجت منه بحقائق علمية جعلتني أعذر من كان يخطئني في عطفي على القوم، وينكر عليَّ ميلي إلى مداراتهم رجاء زوال بعض الجفوة بين أهل السنة وهذه الفئة التي تنتسب إلى الإسلام.

ثم أخذ الشيخ في كشف كفرهم والرد عليهم من كتبهم ومما قال: (إن اعتقاد امرئ الاستغناء عنه –القرآن– أو عن بعضه بأي حال من الأحوال هو ردة عن الإسلام ومروق منه لا يبقيان لصاحبها نسبة إلى

---

(١) (مقدمة رفع الملام عن الأئمة الأعلام).

(٢) البخاري (٣٨٦).

(٣) مسلم (٤٣٥٧).

(٤) مسند أحمد (٢٣٦٢٠).

الإسلام، ولا إلى المسلمين، وقال: اللهم إنا لنعلم أن آل بيت رسولك براء من هذا الكذب، فالعن من كذب عليهم وافترى[١].

* يقول الشيخ الألباني رحمه الله: «رحم الله عبدًا دلني على خطئي، وأهدى إليَّ عيوبي؛ فإن من السهل عليَّ –بإذنه تعالى وتوفيقه– أن أتراجع عن خطأ تبين لي وجهه، وكتبي التي تطبع لأول مرة، وما يجدد طبعه منها أكبر شاهد على ذلك...

وبهذه المناسبة أقول: إني أنصح كل من أراد أن يرد عليَّ، أو على غيري، ويبين لي ما يكون قد زل به قلمي، أو اشتط عن الصواب فكري، أن يكون رائده من الرد: النصح، والإرشاد، والتواصي بالحق، وليس البغضاء والحسد، فإنها المستأصلة للدين؛ كما قال –صلى الله عليه وسلم–: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: البغضاء والحسد، والبغضاء هي الحالقة، ليس حالقة الشعر ولكن حالقة الدين». كما هو شأن ذوي الأهواء والبدع، مع أهل الحديث، وأنصار السنة، في كل زمان ومكان»[٢] أهـ.

* مثل يجب أن يحتذى به، خاصة بين العلماء وطلبة العلم:

وما أعظم ما جرى بين الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق وبين أستاذه العلامة ابن باز رحمه الله؛ إذ سعى بينهما ساعٍ، ومن ذا الذي عصم من الخطأ دون الأنبياء، يقول الشيخ عبد الرحمن: «ووالله الذي لا إله إلا هو فإني لا أذكر أني تعمدت كذبة قط في مؤلف ألفته، أو محاضرة ألقيتها، وما تعمدت قط أن أظلم مسلمًا، أو أن أتهمه بما ليس فيه، أو أمكر به، ولست أبرئ نفسي من خطأ اللسان، وزلة القلم، وخطأ النظر والاجتهاد، مما هو به طبائع البشر، وأسأل الله الصفح والمغفرة عن كل ما بدر مني مما يخالف الحق.

ولقد كنت قد دعوت ربي سبحانه وتعالى أنني متصدق بعرضي على كل مسلم سبني أو شتمني لا أطالبه بشيء من ذلك في الدنيا والآخرة، وجعلت أجري في ذلك كله على الله ... (إلى أن قال أعلى الله قدره:

وختامًا فإنني أستغفر الله وأتوب إليه من كل ذنب ارتكبته، وأرجع عن كل قول قلته يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأعتذر إليكم وإلى جميع مشايخي وأساتذتي وإخواني من أي إساءة كانت مني لكم، والله ما تعمدت إساءة مسلم قط، ولا قصدت ظلم مسلم قط، وأعوذ بالله أن أظلم مسلمًا أو أغشه، أو أنسب إليه ما لم يقله، وإن وقع مني شيئًا من ذلك جهلًا أو نسيانًا أو خطئًا فأنا أستغفر الله وأتوب إليه سبحانه وتعالى وهو القائل قال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ١١٠][٣] (اهـ)

---

(١) (عن مجلة التوحيد لأنصار السنة العدد رقم ٣ السنة السادسة عشرة).

(٢) مقدمة السلسلة الضعيفة.

(٣) الردود العلمية للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.

فهذا الشيخ وهو من أبرز من علم أهل السنة في هذا العصر قواعد السلفية وملأ علمه الآفاق، لا يتحرج أن يتواضع ويعترف بخطئه وقصوره مع عظم مكانته، وهذا الخلق الكريم هو الذي يريده الله منا، أن نذل أنفسنا لله بالاعتراف بالخطأ، وأن نخفض جناح الذل لإخواننا خاصة أهل العلم منهم.

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: ٥٤ – ٥٦].

* إن النيل من أعراض العلماء داء خبيث سلطه أعداء الأمة الإسلامية لاستئصال شأفتها، فيجب ألا نهوى فيه كما هوى أصحاب الإفك من الصحابة الذين نالوا من عرض أشرف الخلق، محمد صلى الله عليه وسلم، مع علو منزلتهم، وتابعوا في ذلك –جهلًا منهم– رأس الكفر والنفاق، عبد الله بن أبي بن سلول.

رغم أن منهم من كان من أهل بدر، ومنهم من كان يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم وينافح عنه.

* يقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في كتابه القيم (تصنيف الناس بين الظن واليقين): وما زالت ثائرة أهل الأهواء، توظف هذه المكيدة في ثلب علماء الأمة. فقد لجوا في الحط على شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – لأنه عمدة في القرون المتأخرة لإحياء منهج السلف.

ونشروا في العالم التشنيع على دعوة علماء السلف في قلب الجزيرة العربية بالرجوع إلى الوحيين الشريفين، ونبزهم بشتى الألقاب للتنفير. ... إلخ

(قلت: وقاموا أيضًا بالتشنيع على علماء السلف في مصر، مصابيح الهدى، وأساطين العلم، وأسود السنة، وشموسها ونجومها في كل مكان..، الذين ملئوا الدنيا بنور العلم، ولا يخفى على كل ذي دين ذكرهم، وفي الدعوة والإصلاح أثرهم، الذي لا ينكره إلا جاحد. وكل ذي إيمان يحمد الله على أن أوجدهم في هذا العصر وجعله من طائفتهم.

وبهذه الفتنة التي نزغها الشيطان وأعداء الله بين أهل السنة، وتلقفتها ألسنة البعض منهم وأقلام البعض، واشتغل غالب طلاب العلم بها حتى وقعوا في مصيبتين عظميين:

الأولى: الغفلة عن الله وطلب القربة له، وعن الرغبة في الجنة والفرار من النار، وذلك بسبب عدم سلامة الصدر.

الثانية: الانشغال عن العدو الأكبر من الإلحاد والعري والمجون والمد الكفري والطرقي والشيعي. فهذا موقع للإلحاد وهذه قناة للعري وتلك للتنصير وهذه مجلة للتصوف.

وهذا ما يريده منا الشيطان وأولياؤه. فهلا أبصرنا ورجعنا؟؟

* يقول الشيخ بكر رحمه الله:

وهذا بلاء عريض، وفتنة مضلة في تقليص ظل الدين، وتشتيت جماعته، وزرع البغضاء بينهم، وإسقاط حملته من أعين الرعية، وما هنالك من العناد، وجحد الحق تارة، ورده أخرى.

صدق الأئمة الهداة: إن رمي العلماء بالنقائص، وتصنيفهم البائس من البينات، فتح باب الزندقة.

* ويا لله كم صدت هذه الفتنة العمياء عن الوقوف في وجه المد الإلحادي، والمد الطرقي، والعبث الأخلاقي، وإعطاء الفرصة لهم في استباحة أخلاقيات العباد، وتأجيج سبل الفساد والإفساد.

إلى آخر ما تجره هذه المكيدة المهينة من جنايات على الدين، وعلى علمائه، وعلى الأمة، وعلى ولاة أمرها. ....

ومن آحادها .... التي يأتمرون ويتلقون عليها للتصنيف:

* فلان يترحم على فلان، وهو من الفرقة الفلانية؟

فانظر كيف يتحرجون رحمه الله، ويقعون في أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة، إضافة إلى التصنيف بالإثم...، إنه يذكر فلانًا بالدرس وينقل عنه....

* ويقول في دوافع هذه الظاهرة:

أو يكون الدافع من تلبيس إبليس، وتلاعبه في بعض العباد بداء الوسواس، وكثيرًا ما يكون في هؤلاء الصالحين من نفث فيهم أهل الأهواء نفثة، فتمكنت من قلوبهم، وحسبوها زيادة في التوقي الورع، فطاروا بها كل مطار حتى أكلت أوقاتهم، واستلهمت جهودهم، وصدتهم عما هم بحاجة إليه من التحصيل، والوقوف على حقائق العلم والإيمان.

ولهذا كثرت أسئلتهم عن فلان، وفلان، ثم تنزلت بهم الحال إلى الوقوع فيهم.

وكأن ابن القيم – رحمه الله تعالى – شاهد عيان لما يجري في عصرنا إذ يقول: (ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم، وغير ذلك.

ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى نرى الرجل يشار إليه بالدين، والزهد، والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالا، وينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد ما بين المشرق والمغرب.

وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول). انتهى. "الداء والدواء" (ص/١٨٧).

* أو يكون الدافع: «داء الحسد والبغي والغيرة» وهي أشد ما تكون بين المنتسبين إلى الخير والعلم، فإذا رأى المغبون في حظه من هبوط منزلته الاعتبارية في قلوب الناس، وجفولهم عنه، بجانب ما كتب الله لأحد أقرانه من نعمة – هو منها محروم –، من القبول في الأرض، وانتشار الذكر، والتفاف الطلاب حوله، أخذ بتوهين حاله، وذمه بما يشبه المدح، فلان كذا إلا أنه.

وقد يسلك – وشتان بين المسلكين – صنيع المتورعين من المحدثين في المجروحين كحركات التوهين، وصيغ الدعاء التي تشير إلى المؤاخذات (كأصلح الله شأنه، أو هداه الله، إلخ)، والله يعلم أنه لا يريد إلا التمريض، ....إلخ.

* أو الدافع: «عداوة دنيوية» فكم أثارت من تباغض وشحناء، ونكد، ومكابدة، فهؤلاء دائما في غصة من حياتهم، وتحرق على حظوظهم، ولا ينالون شيئًا.

«وإنما أهلك الناس الدرهم والدينار». واللبيب يعرف شرح ذلك.

انتهى كلامه رحمه الله

* فعلى كل من نصب نفسه للدعوة أو الجهاد أن يتحرى الحق، وأن يتق الله في يده ولسانه فلا يطلقهما إلا حيث يتيقن الموافقة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

فكم ممن نصب نفسه للدعوة وأطلق لسانه في أهل العلم حتى لم يسلم منهم الإمام أحمد رضي الله عنه والإمام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله،

وكم ممن نصب نفسه للجهاد في سبيل الله وقد أطلق سيفه في المسلمين واستحل دمائهم وأموالهم بدءًا بالخوارج وانتهاء بالمكفرة،

* وللأسف يخرج من بين ممن ينتسبون إلى السنة طرفي نقيض كلاهما يقع في أهل العلم والاعتدال.

أحدهما يتهموهم بأنهم خوارج.

والطرف الآخر يقولون بأنهم مرجئة، وقد يصل بهم الحد إلى تكفيرهم.

يقول الشيخ **محمد بن إسماعيل** في كتابه الجليل الفائدة (حرمة أهل العلم).

* الجناية على العلماء خرق في الدين .... وقال: قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى (واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمر عظيم والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم).

وقال أيضًا رحمه الله (أي الحافظ ابن عساكر): (ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب، ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب).

وقال الإمام السخاوي رحمه الله (إنما الناس بشيوخهم فإذا ذهب الشيوخ فمع من العيش).....

* وليعلم أنه يخشى على من تلذذ بغيبة العلماء والقدح فيهم أن يبتلى بسوء الخاتمة عياذا بالله منها، فهذا قاضي فقيه شافعي....، درس وأفتى، وكثر طلابه ببلاد اليمن، واشتهر ذكره وبعد صيته، قال الجمال المصري «إنه شاهده عند وفاته وقد اندلع لسانه واسودَّ، فكانوا يرون ذلك بسبب كثرة وقيعته في الشيخ محيي الدين النووي رحمهم الله جميعا».

* فأقبح من تعويق وتثبيط وتزهيد حذرنا منه العلامة الشيخ طاهر الجزائري وهو على فراش الموت بكلمات حقها أن تكتب بماء العيون لا بماء الذهب، إذ قال رحمه الله: «عُدُّوا رجالكم، واغفروا لهم بعض زلاتهم، وعضوا عليهم بالنواجذ لتستفيد الأمة منهم، ولا تنفروهم لئلا يزهدوا في خدمتكم».

فإذا خلت الساحة من أهل العلم والتقى، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، يفتونهم بغير علم، فإذا أفتوهم بغير علم فلا تسأل عن المحرمات التي تستباح، والدم المعصوم الذي يراق، والعرض الذي ينتهك، والمال الذي

يهدر، ونظرة واحدة إلى الواقع الأليم في بعض بلاد المسلمين وما يقع فيها من مجازر ومذابح بأيدي الأدعياء الذين استبدوا برأيهم، وتأولوا بأهوائهم، وركبوا رؤوسهم، ولم يصغوا إلى نصائح العلماء "تنبئك عن مخاطر تغييب العلماء وقطع الصلة بينهم وبين الشباب".

* إن العلماء هم عقول الأمة، والأمة التي لا تحترم عقول علمائها غير جديرة بالبقاء. انتهى كلامه حفظه الله.

* لذا أخي الحبيب الواجب علينا أن نعلم أن كل طالب للعلم عليه أن ينشغل بتحصيل العلم وتزكية نفسه وتهذيبها، ولا ينشغل بقول العلماء بعضهم على بعض،

يقول ابن عباس رضي الله عنه «خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون».

ويقول ابن القيم رحمه الله «من قواعد الشرع والحكمة أيضا: أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل منه ما لا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل فإنه لا يحتمل أدنى خبث[١]».

فأوصي نفسي وإياكم، طلبة العلم خاصة، ألا ننشغل بتلك الأمور، وننشغل بتحصيل العلم والدعوة وتزكية النفس، فإن قلوبنا لا تحتمل أدنى خبث.

* من الأدب مع العلماء:

- حسن الظن بهم بأنهم حملة الدين والمدافعين عنه.
- توقيرهم وإجلالهم وعدم تحقيرهم، فإن تحقيرهم تحقير للدين.
- الرجوع إليهم عند التباس الأمور للوقوف على الشرع البين.
- الأدب في السؤال وعدم التعنت والإلحاح، وتحمل الجفوة بأدب.
- حبهم والدعاء لهم، وإخلاص النصيحة لهم.

* أسباب الوقيعة في المسلمين وأهل العلم:

- إن أعظم سببين لهذا الإثم العظيم هما:

(١) أنانية النفس. (٢) نزغات الشيطان.

إنه مع وضوح ذلك الأمر وشدة التشنيع في الوقوع فيه، فإن نزغات الشيطان وتزيينه لذلك الأمر واستعداد النفس لتلقيه، هو من أعظم الأسباب للوقوع فيه، ومن هنا كان الابتلاء لابن آدم. قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} [الفرقان: ٢٠].

قال ابن كثير: وقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ} أي اختبرنا بعضكم ببعض، وبلونا بعضكم ببعض، لنعلم من يطيع ممن يعصي، ولهذا قال: {أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} أي بمن يستحق أن

---

(١) (مفتاح دار السعادة، عن مجلة التوحيد لأنصار السنة).

يوحي إليه، كما قال تعالى: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به ومن لا يستحق ذلك ...

عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن ربه تبارك وتعالى «إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك»[١].

ففتن إبليس بآدم فقال: {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [ص: ٧٦]، فارتكس إلى الكفر بعدما كان خير العبّاد.

وفتن فرعون بموسى فقال: {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ} [الزخرف: ٥٢]، فانتكس في النار بعدما كان ملكا على البلاد، وفتن الملأ من قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فقالوا {لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} الزخرف، فقذفوا في القليب بعدما كانوا سادة على العباد.

وهكذا في كل عصر، ومع أي فضل في الدين أو الدنيا، يكون الحسد والغيرة.

عن الزبير بن العوام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «دب إليك داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»[٢].

قال تعالى: {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٢٠ – ٢١] والعاقل من أخلص لله وكان طلبه للرفعة في الآخرة، وليس الدنيا، فقليل من أهل الشهرة الناجي، وكثير من الدهماء هم الناجون.

فليت شعري كيف حالي غدا؟ ليت أمي لم تلدني. ولكني راجٍ رحمة ربي.

{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص].

وداء الحسد والغيرة جبلت عليه النفس، وكان ذلك هو سبب كفر إبليس واستحقاقه لغضب الله ولعنته، فقد استسلم للأنية النفسية، ولم يقاومها استجابة لأمر الله الحكيم العليم.

وكذلك فإن التفرق في الأمم السابقة لم يكن عن جهل بالدين بل بسبب البغي والحسد

قال تعالى: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا} [الشورى: ١٤].

وأعظم باب للمجاهدة هو مجاهدة النفس والشيطان في هذا الباب، فالنفس دائما تريد أن تكون هي الأفضل من غيرها، فتتغافل عن عيوبها، وتتطلع لأي عيب في الآخرين، بل تبني ذلك لأوهى ظن، والشيطان الخبيث يعلم ذلك منها فيقذف لها الوساوس، ويلقي عليها التلبيسات.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، وينسى الجذع في عينه» [٣]. (القذى: العود ينصب للإبل فتحتك به أو أصل الشجرة يترك لذلك).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البزار بإسناد جيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٨٠١٣ في صحيح الجامع.

وقد يَسْلم الإنسان من الحسد والغيرة ولكن لا يسلم من وساوس شياطين الإنس والجن، فيصدق التهم التي تلقى على أخيه المسلم دون يقين أو تثبت، سواء كانت أخبار كاذبة على ألسنة فساق الإنس،

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات].

أو ظنون ووساوس واهية يقذفها شياطين الجن قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} [الحجرات: ١٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا"(١).

والتحسس هو تلمس الأخطاء والعيوب المستورة بالسؤال وغيره (ومنه تحسس الأخبار)، أما التجسس فبالسماع أو النظر المباشر من وراء ستار أو جدار، ثم ما يزال به الشيطان حتى يفشي ذلك الأمر، فيقع في مصيبتين.

الأولى: القول بلا علم وهو البهتان، قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦].

والثانية: الغيبة، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما الغيبة». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»(٢).

لذلك كله أخي الحبيب كان واجبًا على كل من أراد النجاة أن يحذر هذين العدوين القاتلين، وهما أنانية النفس والشيطان، ويجاهدهما بثلاثة أسلحة لا غنى له عنهم،

الأول: تقوى الله ومراقبته وكثرة ذكره والخوف منه.

الثاني: العلم بأدواء النفس، ومداخل الشيطان، وكيفية التغلب عليهما.

الثالث: دوام المجاهدة والصبر على ذلك.

فلذلك كان هضم النفس وحسن الظن بالآخرين، هو سبيل المتقين، فيربي النفس على عدم الخوض فيما لا يعنيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»(٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

عن حفص بن عاصم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع»[١].

وذكر الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر في كتابه القيم (رفقًا أهل السنة بأهل السنة) قال الإمام أبو حاتم بن حبان البستي في كتابه روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٤٥): "الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم، فما أكثر من ندم إذا نطق، وأقل من يندم إذا سكت، وأطول الناس شقاءً وأعظمهم بلاءً من ابتلي بلسان مطلق، وفؤاد مطبق".

وقال أيضًا (ص: ٤٧): "الواجب على العاقل أن يُنصف أذنيه من فيه، ويعلم أنه إنما جُعلت له أذنان وفم واحدٌ ليسمع أكثر مما يقول؛ لأنه إذا قال ربما ندم، وإن لم يقل لم يندم، وهو على رد ما لم يقل أقدر منه على رد ما قال، والكلمة إذا تكلم بها ملكته، وإن لم يتكلم بها ملكها".

وقال أيضًا (ص: ٤٩): "لسان العاقل يكون وراء قلبه، فإذا أراد القول رجع إلى القلب، فإن كان له قال، وإلا فلا، والجاهل قلبه في طرف لسانه، ما أتى على لسانه تكلم به، وما عقل دينه من لم يحفظ لسانه". اهـ

وعن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى فأخذ بلسانه فقال: تكف عليك هذا قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم»[٢].

* حقوق المسلم على المسلم:

- وجوب الدفاع عن أخيك المسلم

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم يرد مشدهم على مضعفهم ومسرعهم على قاعدهم لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده"[٣].

فعهد المسلمين وذمتهم واحدة في كل بلاد الإسلام، فإذا اعتدي على أخيك المسلم في أي مكان من قبل أعداء الله وجب عليك نصرته، ولا يحل لك أن تعاهد مقاتلًا لإخوانك المسلمين في أي مكان وإلا فمن فعل ذلك فهو خائن لله ولرسوله وللإسلام والمسلمين.

- وجوب الذب عن عرض أخيك المسلم:

* عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقًا على الله أن يعتقه من النار»[٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) تحقيق الألباني: صحيح، الإرواء (٤١٣).

(٣) صحيح الجامع وأبي داود والنسائي وابن ماجة.

(٤) رواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن. (المنذري)، تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٢٤٠ في صحيح

* عن جابر وأبي طلحة بن سهل قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته وما من أحد ينصر مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته"(١).

* إعطاء المسلم حقوقه التي بينها لنا النبي صلى الله عليه وسلم:

* عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حق المسلم على المسلم ست». قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه»(٢).

ألتمس له الأعذار وإن لم يعتذر، وأقبل عذره إذا اعتذر، وأستبرئ ما في نفسه من الوجد. ولا أفشي سره:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحدث أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد بدرًا توفي بالمدينة قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر قال: سأنظر في أمري فلبثت ليالي فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر فصمت أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئًا فكنت عليه أوجد مني على عثمان فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك قلت: نعم قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تركها لقبلتها(٣).

بهذه الأخلاق الكريمة والآداب السامية لم يتركوا سبيلًا لنزغات الشيطان، فنالوا الصديقية والشهادة واستحقوا نصر الله تعالى ورضوانه.

* ثم بالعدل فيه على ظلمه لك أو لنفسه:

* عن عروة بن الزبير في ذكره لحديث الإفك وقذف حسان للصديقة عائشة: وكان حسان إذا سُب عندها، قالت: لا تسبوه، فإنه كان ينافح عن رسول الله، وأي عذاب أعظم من ذهاب عينيه، عذاب عظيم(٤).

الجامع.

(١) تحقيق الألباني (حسن) انظر حديث رقم: ٥٦٩٠ في صحيح الجامع تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٨٠١٣ في صحيح الجامع.

(٢) رواه مسلم برقم ٥٧٧٨.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٠٠٥.

(٤) المعجم الكبير للطبراني (١٨٦٧٤).

وقال مسروقٌ: فقلت لها: لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى: {وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} فقالت: وأي عذاب أشد من العمى قالت له: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

* عن عمر بن الخطاب أن رجلًا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارًا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب فأتي به يومًا فأمر به فجلد فقال رجلٌ من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تلعنوه فو الله ما علمت إنه يحب الله ورسوله(٢).

* ثم بالصفح عنه والإحسان إذا أخطأ أو وقع في عرضك:

وفي حديث عائشة رضي الله عنها في الإفك قالت: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه –وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره–: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا(٣).

* ثم بإعانته عند الحاجة والسؤال عنه وتفقد أحواله، وإيثاره

عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع وكان كثير المال فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالًا سأقسم مالي بيني وبينك شطرين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئًا من سمن وأقطٍ فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه وضر من صفرة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهيم قال: تزوجت امرأة من الأنصار فقال: ما سقت إليها؟ قال: وزن نواة من ذهب أو نواة من ذهب، فقال: أولم ولو بشاة(٤).

* ومن ذلك أيضًا:

– أن تحب له ما تحب لنفسك، وأن تكره مساءته.

– أن تسلم عليه إذا لقيته، وترد عليه إذا بدأك.

– أن تبش في وجهه وتحسن له إذا حضر ولا تغتابه إذا غاب.

– ألا تجسس عليه ولا تتحسس وتترصد له الأخطاء.

---

(١) رواه البخاري برقم ٤١٤٦.

(٢) رواه البخاري برقم ٦٧٨٠.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٧٥٠.

(٤) رواه البخاري برقم ٣٧٨١.

- أن تحسن الظن به، وأن تلتمس له العذر وإن لم يعتذر.

- أن تعوده إذا مرض وتعينه إذا احتاج، وتسأل عنه إذا غاب.

- النصح والدعاء له في حضوره وفي غيبته.

- الذب عن عرضه، وحقوقه في غيبته كما في حضوره.

* أوثق العرى وأعظم القرب في المحبة في الله:

* عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل[١].

عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم. إن أوثق عرى الإسلام: أن تحب في الله وتبغض في الله[٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المتحابون في الله تبارك وتعالى في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء».

- عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار[٣]. البخاري.

* عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... إلى أن قال: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»[٤].

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الشهداء والنبيون يوم القيامة لقربهم من الله تعالى ومجلسهم منه. فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله صفهم لنا وجِّلهم لنا؟ قال: قوم من أفناء الناس من نزاع القبائل تصادقوا في الله وتحابوا فيه يضع الله عز وجل لهم يوم القيامة منابر من نور يخاف الناس ولا يخافون هم أولياء الله عز وجل الذين {لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٥].

* عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن ربه تبارك وتعالى: «حقت محبتي على المتحابين في وحقت محبتي على المتناصحين في وحقت محبتي على المتزاورين في وحقت محبتي على المتباذلين في وهم على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون بمكانهم»[٦].

---

(١) تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٥٣٩ في صحيح الجامع.

(٢) تحقيق الألباني (حسن) انظر حديث رقم: ٢٠٠٩ في صحيح الجامع.

(٣) رواه البخاري برقم ١٦.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) (السلسلة الصحيحة برقم ٣٤٦٤).

(٦) صحيح ابن حبان (٥٧٧)، ومسند أحمد، (تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٤٣٣١ في صحيح الجامع. عن معاذ.

* وعن أبي مسلم – يعني الخولاني – قال: دخلت مسجد حمص، فإذا فيه حلقة فيها اثنان وثلاثون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا فيهم شاب أكحل، براق الثنايا، محتب فإذا اختلفوا في شيء سألوه فأخبرهم فانتهوا إلى قوله، قلت: من هذا؟ قالوا: معاذ بن جبل، فقمت إلى الصلاة فأردت أن ألقى بعضهم فلم أقدر على أحد منهم انصرفوا، فلما كان من الغد دخلت، فإذا معاذ يصلي إلى سارية، فصليت عنده، فلما انصرف جلست، بيني وبينه السارية، ثم احتبيت ساعة لا أكلمه ولا يكلمني، ثم قلت: والله إني لأحبك لغير دنيا أصيبها منك، ولا قرابة بيني وبينك. قال: فلأي شيء؟ قلت: لله تبارك وتعالى، قال: فنثر حبوتي ثم قال: فأبشر إن كنت صادقًا، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «المتحابون في الله تبارك وتعالى في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء».
ثم خرجت فألقى عبادة بن الصامت، فحدثته بالذي حدثني معاذ فقال عبادة رحمه الله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «حقت محبتي على المتحابين فيّ – يعني نفسه – وحقت محبتي للمتناصحين فيّ، وحقت محبتي على المتزاورين فيّ، وحقت محبتي على المتباذلين فيّ، على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون»[1].

فهؤلاء أهل القلوب الصافية أحبوا أهل العلم والتفوا حولهم، فبذلك يكون رضوان الله وتكون نصرته، وهذا معاذ الذي سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن عنده علم من الله ورسوله في مسألة (ومن الذي عنده كل العلم)، قال: أجتهد ولا آلو، ومن ذا الذي اجتهد من العلماء ولم يخطئ.

فهلا كان لنا فيهم الأسوة الحسنة؟!

فهلا أخي الحبيب أعدنا هذه الأخلاق الحميدة بيننا حتى يرضى عنا ربنا ويمكن لنا ديننا الذي ارتضاه لنا، فهؤلاء أهل الباطل يجتمعون على باطلهم ويعدون لاستئصال شأفة الإسلام وأهله، فماذا أعددنا؟

فبالأخوة والمحبة في الله يكون الرباط ويكون الأساس الأعظم لإعلاء كلمة الله في الأرض، فمن أجل ذلك خلقنا الله.

* فإذا كان قيام الدين لا يكون إلا بالأخوة الصادقة في الله، فلا بد أن تحظى بأعظم تقوى الله عز وجل من الحفاظ على الحرمات وعدم انتهاك الحدود، وأن يكون المؤمن فيها توابا إلى الله عز وجل، سريع الفيئة، فإذا اختلف مع أخيه المسلم فليلق باللوم على نفسه وليسرع بالرجوع إليه ولا يكن لدودا في خصومته.

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم».[2]، أي الذي يفجر في الخصومة، ولا يراعى حرمة أخيه المسلم.

* عن سفيان بن حسين، قال: «كنت عند إياس بن معاوية وعنده رجل تخوفت إن قمت من عنده أن يقع في، قال: فجلست حتى قام، فلما ذكرته لإياس، قال: فجعل ينظر في وجهي فلا يقول لي شيئا حتى

---

(1) (مجمع الزوائد للهيثمي) وقال. رواه عبد الله بن أحمد والطبراني باختصار والبزار بعض حديث عبادة فقط، ورجال عبد الله والطبراني وثقوا. ورواه أحمد... ورجاله رجال الصحيح.

(2) رواه البخاري.

فرغت، فقال لي: «أغزوت الديلم؟» قلت: لا. قال: «فغزوت السند؟» قلت: لا. قال: «فغزوت الهند؟» قلت: لا. قال: «فغزوت الروم؟» قلت: لا. قال: «فسلم منك الديلم، والسند، والهند، والروم وليس يسلم منك أخوك هذا» فلم يعد سفيان إلى ذلك»[1].

{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٨١].

فعلينا يا أخي المسلم الحبيب أن نتآلف ونتوحد على دين الله، ولنحذر من كيد أعداء الله من اليهود والصليبيين والمشركين، الذين يريدون للأمة التفرق والتمزق والانحلال العقائدي والخلقي، فيضعون الفرقة والقطيعة بين الدول الإسلامية، ويحرضوا بعضهم بالتعدي على البعض الآخر، ويمزقوا الدولة الواحدة إلى مقاطعات وطوائف ويزرعون الفتنة بينهم، فيقوم القتال بينهم، ويضعون الفرقة بين الأفراد بعضهم البعض حتى بين أهل الدين منهم، ويضعون الفرقة بين عامة المسلمين والعلماء بتشويه صورتهم عند الناس، وبزرع الخلاف بينهم.

وفي المقابل يقومون بالغزو الفكري والثقافي والاقتصادي وأخيرا العسكري، ونحن في غفلة ساهون لاهون في، إما في اللهث وراء الفضائيات، وإما في الكرة، أو في الصراعات الدنيوية، أو تجريح بعضنا البعض. حتى تركنا الزمان للمنافقين أعداء الدين ينادون علنا بالارتماء في أحضان الغرب.

فأين عقلاء الأمة من العلماء والأئمة وأهل الفضل، الذين يجمعون شتات الأمة ويصلحون بين فئاتها المتناحرة، أليس الصلح بين المسلمين أهل السنة أولى من الصلح بيننا وبين اليهود!! أين عقيدتنا؟ أين طريق عزتنا؟ فهي النجاة.

قال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ٩ – ١٠].

نسأل الله العلي القدير، بواسع فضله وعظيم رحمته، أن يملأ قلوبنا بالإيمان به، وأن يؤلف بين قلوبنا، وأن يجمع بيننا في جنته ورضوانه، إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) («حرمة أهل العلم والإسلام» عن «شعب الإيمان للبيهقي»).

{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم

إنهم يحاولون الآن بكل وسيلة أن يطفئوا نور الله، دئوا بالحرب الأخلاقية لكل بلاد الإسلام عن طريق نشر الأفلام الداعرة، والأغاني الماجنة، وترويج المخدرات، وكذلك الحرب الفكرية من دعاوى تحرير المرأة، والتي امتهنوا فيها المرأة وجعلوها كالسلعة والتجارة الرخيصة لأصحاب الأهواء، ومن دعاوي التحرر والليبرالية التي يستبيحون فيها كل المحرمات بدعوى الحرية، ومن دعاوى العلمانية اللادينية التي تنادي بتنحية الدين جانبا عن الدولة كالنظام الكنسي فلا تواجد له إلا في الكنيسة، فيريدون أن يجعلوا المساجد كالكنائس لتأدية الصكوك والطقوس فقط، لا لنشر النور والحياة والعدل والرحمة للعالمين، يحكم بها من هم على نهج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، لا يريدون أن يحكمهم إمام عادل يترنم بالقرآن، بل يريدون إماما فاسقا يترنح بالخمور وعلى الأغاني المجان.

ثم انتهوا أخيرًا في محاولتهم لإطفاء نور الله إلى الحرب العسكرية لمحاربة شرع الله، فبدئوها في العصر الحالي بإضعاف القوة العسكرية للحكومة السنية بالعراق، ثم التحزب العالمي لضرب أول حكومة إسلامية تحكم بشرع الله في أفغانستان، الذين حطموا الأصنام، وأعلنوا تطبيق شرع الله وإظهار عقيدة الولاء والبراء. ثم الحرب العالمية على الحكومة السنية بالعراق واستبدالها بحكومة شيعية خائنة موالية لليهود والصليبيين محاربة للسنة.

وهذه الحرب ليست من أعداء الله بالخارج فقط، بل من سنة الله أن يكون هناك أعداء من الداخل أيضا وهم المنافقون في كل عصر، وهم أعظم أداة للأعداء بالداخل.

فلتحذر أخي المسلم الحبيب من حيل أعداء الله ومكرهم بالمسلمين، فهم يحاربون دين الله وأهله بكل وسيلة، تارة بالتأليب الإعلامي فهو من أشد وسائلهم، وتارة بالحرب الفكرية، وتارة بإثارة الإشاعات، وتارة بإلقاء الشبهات، وتارة بالقدح في الدعاة وكل من يرفع راية الإسلام وإلقاء التهم الباطلة عليهم، وهذا سبلهم في كل عصر، فلم يسلم منهم خير الخلق صلى الله عليه وسلم، حينما خاض المنافقون في عرضه صلى الله عليه وسلم حينما اتهموا عائشة رضي الله عنها بالإفك.

وكذلك من دأبهم في كل عصر تجسيم أخطاء أهل الدين، فها هم أعداء الله من كفار قريش يشنعون على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين حينما أخطأ بعض الصحابة رضي الله عنهم في قتالهم للمشركين في آخر يوم من رجب المحرم مستقبلين أول ليلة من شعبان غير المحرم، لأنهم إن تركوهم إلى الليل دخلوا الحرم المكي. فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك على الصحابة الذين أخطئوا.

فقالت قريش: استحل محمد الدماء والأموال في الأشهر الحرم وشنعوا بذلك، وتلقفها اليهود فرصة سانحة لهم لإثارة الشائعات، فنزل قول الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢١٧]، فذكر الله بتحريم القتال في الشهر الحرام، ولكن رد كيد الكافرين بأن ما فعلوه أعظم جرما، من صدهم عن سبيل الله وفتنتهم للمؤمنين وتعذيبهم حتى الموت لكي يرجعوا عن دينهم.

بل أخبر الله أنهم لن ينتهوا مستقبلًا عن سفك الدماء متى أتيح لهم ذلك، وعن حرب دين الله وفتنة المؤمنين فاحذروهم، لأن من تابعهم حبط عمله في الدنيا والآخرة وخاصة في حربهم ضد شرع الله وأهله فإنه ردة.

وليست الردة بالتخلي عن الإسلام علانية، بل إن رأس الكفر والنفاق عبد الله بن أبي بن سلول كان يعلن الإسلام ويصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه كان يوالي أعداء الله من اليهود والنصارى ويعاونهم على حرب أولياء الله المنادين بشرع الله محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه رضي الله عنهم.

لماذا يحاولون إطفاء نور الله؟!!!

* لماذا يحاربون كتاب الله؟

* لماذا يحاربون رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

* لماذا يحاربون الدعاة إلى الله؟

* لماذا يحاربون المتمسكين بدين الله؟

- لأنهم لا يريدون السلام؛ لكونهم ذئاب في جثمان إنس.

- لأنهم لا يريدون الطهر والعفاف، لكونهم فجرة فاسقين مستحلين لحرمات الله.

- لأنهم لا يريدون للرحمة أن تنشر لأن قلوبهم مملوءة بالشر والحقد والحسد.

- لأنهم لا يريدون العبودية لله وحده، لكونهم يريدون أن تكون العبودية لهم من دون الله، من طاعة مطلقة وتعظيم مطلق ورهبة وخضوع. أو تكون العبودية لمن يعظمونهم من دون الله.

- لأنهم مستكبرون على الله الذي خلقهم، لأنهم عبيد أهوائهم، عبيد شهواتهم، عبيد شياطينهم.

- لأنهم لا يريدون أن يحاسبهم أحد، لكونهم مجرمين.

- إنهم يريدون إطفاء نور الله لأن قلوبهم مظلمة، لا يريدون أن يعيشوا إلا في الظلام، ولا يريدون لغيرهم أن ينعم بنور الله.

* لماذا يحاربون شرع الله؟

- لأنهم لا يريدون عدل شريعة السماء الغراء التي أنزلت رحمة للعالمين، لكي تستقيم شؤونهم كما تستقيم الشمس والنجوم في السماء كما أراد الله لها.

قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤].

فكما أن الله تعالى له الخلق والرزق والتدبير وحده؛ فكذلك له الملك والسلطان والأمر وحده.

فوا عجبًا!!! إذا كان هناك حاكم أو ملك من ملوك الدنيا تملك دولة قسرًا وجبرًا، ثم عطلت فئة منهم أمره؛ قهرهم وقتلهم أنفة أن يعصى أو يعطل أمره، رغم أنه لم يخلقهم ولم يرزقهم بل قد يسرق أرزاقهم، فما بالنا برب العالمين وسيدهم ومالك جميع أمورهم ومن إليه مرجعهم ومآلهم، ومن لا يفلتون من بين يديه، كما لا غنى لهم عن فضله طرفة عين، كيف يعطل شرعه وأمره، ويحكم بغير كتابه في أرضه، ويخشى سلطان غيره دون سلطانه!!!، بل تحكم شريعة وقوانين أهل الكفر (فرنسا وغيرها) دون شريعته؟!!

والله متم نوره ولو كره الكافرون

ولكن أنَّ لأفواه الحمقى أن تطفئ نور الشمس، فما بالكم بنور رب العالمين، قال تعالى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف: ٨].

فهذا وعد الله الحق، ومن أصدق من الله قيلا، ومن أصدق من الله حديثا، ومن أصدق من الله حكما لقوم يوقنون.

فإذا أكدوا بكل وسيلة «أن يطفئوا نور الله» بحرق أو حرب لكتاب الله واستهزاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أو حرب لأولياء الله، فيعلن الله الذي بيده وحده الملك والتصريف والقدرة والسلطان تأييده للإباء والرفض رغم أنف المستكبرين، وكيد الكائدين، وحيل ومكر الماكرين، وحرب المفسدين، وادعاءات المبطلين، وشائعات المرجفين، وانتحالات المغرضين باسم الدين، قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة: ٣٢].

* ومن السنة المطهرة:

١ – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله زوي لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها»[١]

٢ – وقال «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر»[٢].

٣ – عن أبي هريرة أن رسول الله قال: لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا فيفتتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطلٌ فإذا جاءوا الشأم خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته[٣].

٤ – عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر قالوا نعم يا رسول الله قال لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحق فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها قال ثور لا أعلمه إلا

---

(١) رواه مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد عن تميم الداري رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم.

قال الذي في البحر ثم يقولوا الثانية لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ثم يقولوا الثالثة لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون[1].

٥ – عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال بينما نحن حول رسول الله نكتب إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المدينتين تفتح أولا، القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مدينة هرقل تفتح أولا، يعني القسطنطينية[2]. (ورومية هي روما عاصمة إيطاليا، وهي مقر الفاتيكان رأس المسيحية في العالم).

وفي الحديث الثالث أن الجيش الذي سيخرج من المدينة هو نفسه الجيش الذي سيفتح القسطنطينية (يعني الثلث الذي سيبقى) يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا فيفتتحون قسطنطينية».

وفي ذلك دلالة واضحة أنهم من العرب أو سوادهم من العرب، وليس كما ذهب بعض أهل العلم أن الذين سيفتتحون القسطنطينية هم السبعون ألفا من بني إسحاق وبهذا فقد خلطوا بين الروايتين، وإنما حملهم على ذلك أن ذكر صريخ الشيطان جاء في الروايتين، والصحيح أن المدينة في الحديث الأول (القسطنطينية) غير المدينة التي ستفتح في الحديث الآخر، ففي الوقت الذي ستنتهي فيه المعركة العظمى بين المسلمين الذي خرجوا بداية من المدينة المباركة وبين الروم بسحق الروم وهزيمتهم المنكرة التي لا يقوم لهم بعدها قائمة، في هذا الوقت يتجمع المسلمون من الروم الأوربيين (بني إسحاق) بغزو المدينة الأخرى وافتتاحها بالتكبير، فيصرخ الشيطان غيظا وحقدا على المسلمين في الجيشين بأن الدجال قد خلفهم في أهلهم وذريتهم وذلك غير صحيح، كي يكفوا عن الغزو. والله أعلم.

قال الحموي في كتابه معجم البلدان عن روما: قال الوليد بن مسلم الدمشقي: ولها ثلاثة جوانب في البحر والرابع في البر[3].

وقال القزويني عنها: حكي أن في وسطها عمودًا من حجارة عليه صورة راكب على بعير، يقول أهل المدينة: إن الذي بنى هذه المدينة يقول لا تخافوا على مدينتكم حتى يأتيكم قوم على هذه الصفة، فهم الذين يفتحونها! وثلاثة جوانب المدينة في البحر، والرابع في البر[4].

فقد تكون المدينة التي سيفتتحها السبعون ألفا من بني إسحاق هي روما، والله أعلم.

فعلينا أمة الإسلام أن نسعى إلى ذلك الفضل العظيم والفوز المبين حتى نكون من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، قبل أن يأتي وقت الحسرة والندامة في الدنيا قبل الآخرة، نسأل الله الثبات والقبول.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) معجم البلدان المؤلف: ياقوت الحموي.

(٤) آثار البلاد وأخبار العباد المؤلف: القزويني.

* وها هي بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تتحقق بالنص كما أخبر صلى الله عليه وسلم وهذا من الإعجاز النبوي، ففي حديث ثوبان رضي الله عنه «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». صحيح سنن أبي داود.

فقد تداعت علينا الأمم كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وتقاسمونا تقاسم القصعة في اتفاق معاهدة سايكس بيكو سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م والذي تم فيه تم اتفاق الحلفاء على تقسيم العالم الإسلامي الخاضع للدولة العثمانية بين الحلفاء طيلة قرابة قرن من الزمان. فهلا وعينا ذلك الدرس جيدا؟!

* ومن الأحاديث العجيبة أيضا هذا الحديث المعجز الذي تمت أحداثه وما زالت في هذه السنوات:

فعن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله فقال يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم. قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذاك. ثم قال: يوشك أهل الشأم أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدى. قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم. ثم سكت هنية ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا لا يعده عددًا». قال: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أترياه أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا. رواه مسلم.

ففي هذا الحديث يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم (بحصار اقتصادي على العراق.. فالقفيز مكيال، والدرهم المال النقدي) وهما أصل الاقتصاد، وهذا الحصار يكون من قبل العجم، أي كل من لا يتكلم العربية، وهو ما تم بالفعل لمدة عشر سنوات قبل الغزو الأمريكي للعراق من قبل كل من لا يتكلم العربية من الأمم المتحدة، ثم بعد ذلك الحصار، ثم يكون حصار لأهل الشام في الاقتصاد (الدينار)، والسلاح (المدى وهو السكين) وهو ما يتم الآن بالفعل لفلسطين وخاصة غزة، وهذا الحصار يكون من قبل الروم الأوربيين، مقابل الحصار الأول للعراق من قبل أكثر من مائة وثلاثين دولة من العجم الذين لا يتكلمون العربية في الأمم المتحدة من الأوربيين وغير الأوربيين!!

ثم يكون بعد ذلك خليفة للمسلمين يحثو المال حثيا دون عدد!!!

وها هو الإسلام بفضل الله يغزو العالم وخاصة الغربي، وكلما قاموا بحملة ضد الإسلام، تأتي بعكس ما يكيدون {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}، وها هو محارب المآذن في سويسرا يسلم، ووزير إيطالي يعلن إسلامه في الوقت الذي يُضرب فيه بيرلسكوني العدو اللدود للإسلام رئيس وزراء إيطاليا بالنعل.

هذا بعض ما على الصعيد العالمي، أما على الصعيد المحلي فقد شاهدت لقاء للأنبا مكسيموس – (وهو من أكبر قساوسة مصر) – على قناة الجزيرة وهو يندد بسياسة الكنيسة المصرية ويفضح ضعفها ومعه إسطوانات فيديو يستشهد بها على صدق ما يخبر به، ومما قال مستشهدا بما معه من إسطوانات، «وانتهت هذه اللجنة برئاسة الأنبا باخيموس أن عدد الذين يشهرون إسلامهم سنويا في مصر في المتوسط خمسين

ألف شخص، وهذه اللجنة بالصورة، عدد الذين يشهرون إسلامهم يوميا يتراوح ما بين ثمانين إلى مائة وعشرين شخص»[١].

فعلينا أمة الإسلام أن نثق في وعد الله بالنصر للمؤمنين في الدنيا، ودخول الجنة في الآخرة، ولا نيأس من رحمة الله تعالى وأن نسعى إلى تحقيق موعود الله تعالى.

فأبشروا إخوة الإسلام بنصر من الله وفتح قريب ولا يثنيكم مكرهم وكيدهم عن صبركم على التمسك بدين الله والصبر على رفع راية الإسلام وإعلاء كلمة الله وسيادة شرع الله، فما أنزل الله شرعه وأمره إلا ليحكم العباد، فهذه من أعظم خصوصيات رب العالمين.

وها هي الأحداث تؤكد كل يوم من ازدياد نور الله بنشر الإسلام وارتفاع كلمته في كل مكان مع ازدياد حربهم الضروس ضد الإسلام، وها هم المسلمون ينتفضون من كل مكان ليرفضوا الذل والعبودية لغير الله ويرفضوا حكم الخائنين الموالين لأعداء الله.

ونختم بذلك الحديث النبوي الشريف الذي يدل دلالة واضحة على أن ما نحن فيه مقدمات الخلافة الإسلامية.

قال حذيفة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم يكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت»[٢].

وهاهو الحكم الجبري يرتفع كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فأبشروا إخوة الإسلام، فو الله الذي لا إله إلا هو إنها لمقدمات الخلافة الإسلامية كما بشر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فلنسع إلى حمل راية الإسلام كما حملها السابقون بحقها ونحن موقنون على نصر الله وتمكينه مهما كان من تمحيص وابتلاء وكيد من العداء.

---

(١) عن قناة الجزيرة مباشرة.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة.

تعريف بالطريقة الربانية المباركة لتعليم القرآن

* بفضل الله تعالى أسهل وأفضل وأسرع طريقة لتعليم القرآن الكريم:

- هل تريد أن تكون من أهل الله وأوليائه وأحبائه وأنصاره وعباده الصالحين أنت وولدك، لقوله صلى الله عليه وسلم «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»؟
- هل تريد لابنك السعادة في الدنيا والآخرة وأن يكون من الدعاة والعلماء الصالحين المخلصين؟
- هل تريد أن تلبس حلة وتاج الكرامة يوم القيامة بحفظ ولدك القرآن؟
- هل تريد أن تكون من خير الناس لقوله صلى الله عليه وسلم خيركم: من تعلم القرآن وعلمه؟
- هل تريد نور الله ونور القرآن والهداية في بيتك ولولدك وجميع أهلك وأن تكون مع الكرام البررة؟
- هل تريد الجنة بغير حساب والرضوان الأكبر ولذة النظر لوجه الله الكريم والمزيد يوم المزيد؟
- هل تريد نصرة الإسلام وعز المسلمين والرفعة والتقدم لأهل هذا الدين بتعلمك وتعليم ولدك وأسرتك وجميع من حولك القرآن؟

* الطريقة الربانية:

أسهل وأفضل وأسرع طريقة لتعليم القرآن الكريم بالتجويد للأطفال من سن ٣ سنوات إلى ٦ سنوات يختم القرآن ما يقرب من خمس إلى عشر ختمات تلاوة بالتجويد وبالأحكام وحفظ من (٣: ٥) أجزاء قبل دخول المدرسة.

ولطلاب المدارس والجامعات دورة لمدة ثلاثة شهور الدورة الصيفية الربانية يختم فيها القرآن تلاوة بالتجويد مع كتاب نور البيان والفتح الرباني.

دورة مكثفة لمدة أسبوعين بشرط التفرغ التام لمن عنده أساس أحكام التلاوة.

وللمتعلمين دورة من شهر إلى ثلاثة أشهر على حسب التفرغ. وللأميين دورة لمدة (٤: ٦) شهور شرط التفرغ ويختم القرآن تلاوة (الأحكام والتجويد).

ولغير الناطقين بالعربية من الأطفال والكبار دورة لمدة ٦ أشهر لتعلم القراءة والتلاوة في حالة التفرغ يختم فيها القرآن تلاوة بالأحكام والتجويد.

بفضل الله يستطيع الطفل بعد سنة ونصف من التحاقه بالدار أن يقرأ من أي موضع في المصحف بالتجويد ويعرف الحكم ويأتي بالشاهد من تحفه الأطفال في التجويد.

ويتعلم أطفالنا بجانب ختمات القرآن بعض المفردات والمعاني وبعض أسباب النزول.

(بشرى وبحمد الله)

قد ختم ما يقرب من ألف طفل القرآن الكريم تلاوة بالتجويد وما يقرب من (١٢٥٠) طالب في الدورات الصيفية لطلاب المدارس (بدار القرآن بعرب القرآن). فضلا عن عشرات الآلاف في أنحاء مصر والعالم الإسلامي.

والآن بفضل الله دورات ربيع القلوب والفتح المبين لحفظ القرآن كاملا خلال الإجازة الصيفية، والتي يعكف فيها النشأ المبارك على حفظ القرآن ودروس العلم والآداب من الصباح إلى المساء طيلة أكثر من شهرين.

* الهدف من المنهج:

حفظ القرآن كاملًا بالتجويد قبل انتهاء المرحلة الابتدائية وتعلم أخلاقه وآدابه.

وحفظ من (٣: ٥) أجزاء قبل دخول المرحلة الابتدائية وتربية جيل النصر المنشود على الإيمان والقرآن والخلق الحسن.

التعليم في كل الدورات لوجه الله ولا نأخذ عليه أجرا إلا من الله وأي أحد يأخذ أجرا فليس تابعا لمنهجنا فعهدنا مع الله أن نتعلم ونعلم الطريقة لوجه الله تعالى وحده.

ونحن على استعداد تام لإقامة دورات لأي جهة رسمية يتكون فيها عدد (١٠٠) دارس من الكبار أو أكثر أزهر أوقاف.

جمعيات مراكز تعليمية مدارس وجامعات دور قرآن أو أي مكان.

والحمد لله يوجد في كل أنحاء مصر وبعض الدول العربية.

مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة سورية الأردن... إلخ مراكز لتعليم الطريقة.

أهم مراحل حياة الإنسان وأكبر كنز هي مرحلة الطفولة فينبغي استغلالها في تحفيظ القرآن بالتجويد ومعرفة الهجاء والقراءة والكتابة ومعرفة أصول العلوم.

* المميزات والخصائص التعليمية والتربوية والروحية للطريقة الربانية:

تربية الطفل من خلال معرفة العقيدة والآداب والأحاديث والأناشيد والقصص والسيرة النبوية وأخذ الدروس والعبر والعظات منها.

لإتمام التفوق الدراسي يتم تدريس الحساب/ اللغة الإنجليزية لتعليم العقيدة والسلوك والأخلاق من خلال تعليم كتاب الفتح الرباني في اللغة الإنجليزية.

يتم تعليم كتاب نور البيان الذي يؤهل الطفل لحفظ القرآن كاملا بالتجويد ومعرفة الهجاء والنطق الصحيح للكلمات التي يكثر فيها الخطأ ما يقرب من ١٢٠٠ كلمة يتم التدريب على نطقها نطقا صحيحا فيها ٥٠٠ كلمة من القرآن.

ويتم تعليم مطوية الفتح الرباني التي تؤهل لمعرفة أحكام التجويد في سن مبكر ويتم التعليم (كتاب التبيان في دليل معلم نور البيان) شرح كتاب نور البيان للمعلمين وبه تدريبات إضافية من الكلمات القرآنية وبه الشرح المفصل لخطوات التدريس لكل الأعمار.

هذا المنهج تربوي إيماني وروحي يتم فيه تربية الطفل على العقيدة الإسلامية والآداب والسلوك القويم والمعاملة والخلق الحسن فينشأ على محبة المسلمين والسمع والطاعة للوالدين وحتى لا يكن هناك مرتكب كبيرة أو عاق لوالديه أو مدخن أو مبتدع أو متبرجة في المسلمين فيقبل يد والديه ويحسن إليهما ويكون مصدر رحمة وقرة عين لهما ويقول عند الإساءة سامحك الله ولمن أحسن إليه جزاك الله خيرا وللآخرين إني أحبك في الله والآداب العامة واحترام الآخرين ومحبتهم.

حديث: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من »

* يتميز هذا المنهج:

بعلاقة الحب التي تربط بين الطفل ومعلمه والقدوة والسمع والطاعة للمعلم ويستقبل الطفل بالابتسامة والترحيب وبتقبيل يده وبأحب الأسماء لديه ويثاب بالجوائز وبكلمة التشجيع بارك الله فيك ويعتمد منهجنا على التربية بالحب واللين ويمنع الضرب لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». يتم تعليم الأذكار اليومية وأذكار الصباح والمساء ويرددها في أول اليوم الدراسي ليحصل على بركة هذا العلم وتحصين ضد الحسد والشياطين وتحفظه من كل الشرور فيستوعب هذه العلوم ببركة ذكر الله.

يتم إعداد مناهج للطلاب والمعلمين على يد تربويين وأصحاب إجازات بإشراف الأزهر الشريف.

ويتم عمل دورات تعليمية على يد متخصصين لتأهيل المعلمين والمعلمات لتعليم هذا المنهج في دور التحفيظ ومعرفة كيفية تطبيقه ومتابعته.

بشرى ودعوة من القلب

للقائمين على هذا المنهج الرباني علمًا وعملًا وتعليمًا ودعوة وخلقًا وسلوكًا وصبرًا بحفظ الله ورضوانه وتاج الكرامة وحلتها لك أخي الحبيب.

فلتفرح بفضل الله ورحمته أن منَّ علينا بهذا المنهج. قال تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)} [يونس].

ولندع إلى هذا المنهج وننوي نشره وتعليمه لكل المسلمين وغير المسلمين وإقامة دور القرآن في كل مكان والله كريم يعطى على النية بغير حساب وندعوكم أيها المسلمون لنشر هذا المنهج الرباني المبارك في العالمين ابتغاء وجه الله الكريم بكل الوسائل فقد فتح الله له وكتب له النصر والقبول فيا سعادة من دعا إلى هذا الخير ليكتب الله له الأجر والثواب والجنة بغير حساب قال صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات».

قال تعالى {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: ٣٣]

حديث: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا».

* للاستفسار ومزيد من المعلومات علي الموقع التالي (www.norallah.com)

أو على البريد الإلكتروني (alfathalrbany@hotmail.com)

احرص على طبع ونشر هذه الرسالة وتوزيعها كهدية لنشر المحبة والأخوة بين المؤمنين كي يرضى عنا ربنا رب العالمين ولكي تكون صدقة لك ولمن تحب في حياتك وبعد مماتك.

* للاستفسارات:

* إشراف تعليمي ومناهج:

* التربوي (٠١٠٠٩٩٦٢٤٥)

* للاستفسار (٠١١٦٢٩٩٩٦٢) – (٠١٠٦٩٣٥٢٨) – (٠١٤٩٢٨٨٨٨١)

* الناشر الدولي (٠١٦١٦٧٦٧١)-(٠١١١٩٩٩٩٢٨)-(٠١٠٦٢١٩١٦٦)

* الدورات (٠١١١٨٧٧٠٧٧)

تطلب هذه الكتب من مكتبه الفتح.

* الفتح الرباني في تيسير تلاوة القرآن. CD+

* فتح الله الموصول في شرح مختصر سلم الوصول للأطفال وآخر للمعلمين. CD وشريط.

* النحو الكافي والصرف الكافي والكافي في الخط قواعد الإملاء والكافي لتعليم القراءة.

* منة الرحمن في تعليم الأطفال القرآن.

* الاحتساب لإرساء قواعد الحساب.

* تفسير آية الكرسي.

* الفتح الرباني في اللغة الإنجليزية. CD VD+

* فتح الله في تفسير سورة الإخلاص.

* فتح الرحمن الرحيم في تفسير الفاتحة للمؤمنين.

* نور علي نور في تفسير سورة النور. VD و CD

* فتح الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

* فتح الرحمن في تعليم القرآن جزء ١ كلمات القرآن جزء ٢.

* أحكام التجويد. CD+

* دروس تربوية من سورة النور. VD و CD.

* نور البيان – التبيان – قطوف إيمانيه (للدورة الصيفية) الجزء ١، ٢، ٣ من ٦: ١٨ سنة.

* الفوائد الحسان.

* التبيان دليل المعلم لشرح نور البيان VD CD وشريط.

* مطوية فتح الرحمن في بيان معني كلمة التوحيد والإيمان (لا إله إلا الله).

* مطوية فتح رب العالمين في بيان حرمة العلماء والمسلمين.

* (الفتح الأعظم) بشريات النصر والتمكين.

* فتح الملك العلام في شرح سلم الوصول.

* الوحدة والاعتصام يا أمة الإسلام.

* الفتوحات الربانية في الدروس التربوية.

* الفتوحات الربانية في الآداب الإسلامية والتربوية.

* فتح الحكيم الحميد في بيان معني كلمة التوحيد.

* اللوحات والوسائل التعليمية لتعليم اللغة العربية والإنجليزية والأناشيد والآداب الإسلامية والحديث والقرآن.

* نور الله في توحيد رب العالمين والحب والإخاء بين المسلمين.

* تنبيهات مهمة لإنجاز أعظم مهمة.

* القواعد الذهبية في الفتح على الإمام والتدبر وحفظ وتدبر القرآن.

* ساعة في قرب الحبيب.

* دروس الفتح الرباني.

*CD التعريف بالطريقة وشرح كتاب نور البيان وختمات القرآن للأطفال ودورات نور البيان كلها على CD VD.

* تحت الطبع:

* لآلئ البيان في براءة عرض النبي من البهتان.

* الرقية بين الاتباع والابتداع.

* فتح الرحمن في تعليم ختام القرآن الجزء الأول للأطفال الجزء الثاني لكل الأعمار CD VD+ من دور القرآن.

* فتح الرحمن في أخلاق أهل القرآن.

* فتح الرحمن في تحفيظ القرآن وإدارة الحلقات.

* فتح الرحمن في تهجي سور القرآن CD+.

* فتح الرحمن في تعليم النوابغ القرآن.

* المتون العلمية. التحفه – الجزرية – السلسبيل. CD+.

* رحلة مع التصوف.

* فتح الله الحي القيوم في تعليم تهجي القرآن الكريم على برنامج CD.

* إلا تنصروه فقد نصره الله.

* حقائق الأخبار في الدفاع عن النبي المختار.

* مطوية: وإنك لعلي خلق عظيم "أخلاق المؤمنون في القرآن الكريم".

* مطوية: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "بشرى نشر نور الله في العالمين".

* مطوية: توحيد الله رب العالمين.

* الأجوبة على أسئلة القبر الثالثة.

* فتح الرحمن في تعليم أخلاق وآداب الإسلام.

* الأجور الجارية في الصدقات الجارية.

* الفتوحات الربانية في الأفكار الترفيهية الشرعية.

* أنوار من النور حول سورة النور.

* الفتوحات الربانية في المعلومات الإسلامية ١ جزء العلمية ج ٢ الثقافية ج ٣.

* الفتوحات الربانية في الأمور الإدارية (إدارة دور القرآن).

* الفتوحات الربانية في الدروس الإيمانية.

* الفتوحات الربانية في المسابقات الإسلامية جزء ١ والثقافية ٢ والعلمية ٣.

* أسباب الفتح المبين لنشر نور الله في العالمين.

* الفتوحات الربانية في السعادة الأبدية.

* رحمة الله وفضله في إدخال الفرح والسرور على المسلمين.

* آلاء الله في سورة الرحمن.

* فتح الله في أصول وقواعد تهجي القرآن، +CD

* سلسلة فتح الرحمن تعليم القرآن والعربية لغير الناطقين بها +CD

* فتح الرحمن في تفسير سورة العصر.

ولدينا مزيد

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

بفضل الله تم نشر هذا المنهج في القنوات الفضائية مثل (الناس – الرحمة – الحافظ)

ونسأل الله تعالى الإخلاص واليقين والثبات على الدين والفتح المبين والنصر القريب والفردوس الأعلى بغير حساب ورضوانه الأكبر والمزيد يوم المزيد والفرج والسرور لكل المسلمين وأن ينصر المجاهدين في سبيله في كل مكان.

الفهرس